الصداقة عند الغزّالي

المدرس المساعد
علي هادي طاهر
جامعة البصرة – كلية الآداب

المقدمـــــة :

في ظل زمان ندرت فيه الصداقة الحقة وأصبحت للمستحيل اقرب ، خصوصا" بعد أن سيطرت على فكر اغلب الناس النظرة المادية للحياة حيث اخذوا ينظرن للصداقة بوصفها سلعة تخضع للعرض والطلب ، ترتفع قيمتها بالنسبة للأغنياء وتكسد عند الفقراء . صار الميل للاغنياء واصحاب السلطات ديدن اغلبهم معتبرين مصادقة هؤلاء وسيلة لتحقيق منافعهم واشباع رغباتهم التي عجز أكثرهم عن سدها بمفردهم . وعندها هجروا مصادقة الفقراء وان كانوا ذوو حسب ونسب وعلم وأدب ، بل اصبحوا ينظرون لهم بوصفهم أناسا" لا يستحقون المعاشرة . وهذا دأب الأشخاص الذين يسعون في صداقتهم نيل المنافع المادية .

وبجانب هؤلاء ظهرت ثلة من الناس يسعون لنيل صداقة المنعفة ولكن من نوع آخر هو تحقيق المنفعة المعنوية وهذه حال بعض الناس غير المحتاجين للمنافع المادية حيث يضطر بعضهم للتوسل بشتى الطرق كي ينالوا صداقة ذوي المناصب العالية بحثا" عن السمعة الاجتماعية والمركز الاجتماعي المرموق . وهذا الامر ظهر ايضا" مع بعض الناس الذين يحاولون بقدر الامكان الاتصال برجال الدين والمفكرين البارزين ، غايتهم الرئيسة ان يقال عنهم انهم بمعية فلان ذلك الشخص الجليل ويشار لهم بالبنان .

وهناك مجموعة من الناس خاصيتهم مصادقة اصحاب العلم كي يستفادوا منهم وبعد انقضاء حاجاتهم يقطعون صلتهم بهم ويعدونهم مجرد ذكرى في سجلات النسيان وهذا ما يحصل في علاقات الدراسة مع الاذكياء فوقت حاجاتهم لهم يكونون اصدقاء وعند انتهاء

الأمر تتقطع العلاقات . وهذه الانواع من الصداقات تهون كلها أمام نوع آخر من الصداقة تكون لغايات دنيئة جدا" يندى لها الجبين لانستطيع ذكرها كونها لاتخفى على اللبيب معرفتها . ولكن هذا لايعني عدم وجود الصداقة الحقه بل هي موجودة ولكن قليل هم الناس الذين يصادقون من اجل الصداقة ذاتها دون ان يكون هدفهم المصالح المادية الزائلة . هذه الصداقة التي غايتها الفضيلة والمحبة الاخوية الصافية حيث يصادق فيها الانسان لانه يستحق الصداقة ويؤدي حقوقها بكل ماتحوية كلمة الصداقة من معنى ولكن هذا التصور للصداقة الحقة على ما يبدو اصبح ضربا" من المثاليات عند اغلب الناس ومع الاسف اخذوا يطلقون مصطلح الصداقة على المنفعة واللذة والمصلحة . والطامة الكبرى يعتبرون هذا هو المعنى الحقيقي للصداقة لذا فمن البساطة ان يتخلى الانسان عن صاحبه وقت الشدة ويتركه من اول زلة ويحسد من صاحبه على الصغيرة والكبيرة بل اكثر الناس يغتم عندما ينال صاحبه نجاحا" معينا" وبعضهم اذا زل صاحبه لايكلف نفسه نصيحته بدافع الانانية ومع كل هذه السلبيات يقول فلان صديقي وصاحبي فاي صداقة هي التي من هذا النوع ايحق ان نقول فلان صديق لفلان وهو لايتمنى له مثلما يتمناه لنفسه . فمن كل هذه الاشكالات وجدنا من المناسب الكتابة حول موضوع الصداقة لاهميتها الكبيرة متخذين من ابي حامد الغزالي (١) الشخصية الرئيسة لهذه الدراسة لباعة الطويل وفكرة الاصيل المستمد من الشريعة المحمدية المباركة راجيا" من ورائه تحديد موقف الإسلام من الصداقة ما دمنا نعيش في مجتمع إسلامي ابتعد اغلب الناس فيه عن تطبيق تعاليمة ، لا نقول عن جهل بل عن عمد لان اغلب هؤلاء عندما تسأله عن تعاليم الدين تراه يجيب بحيث يجعلك تشعر به وكأنه إمام زمانه ومصلح عصره ولكنه عند التطبيق يكون انجازه صفرا" في نهاية المطاف . فمن هذه المنطلقات قدمنا هذه الدراسة (الصداقة عند الغزالي) التي بدأناها اولا" بموقف الفلاسفة الذين تقدموا الغزالي من الصداقة وثانيا" تكلمنا عن موقف أبي حامد من الصداقة مبتدئين بالالفة والاخوة ثم شروط الصحبة . وثالثا" تطرقنا لحقوق الصحبة وشروطها ورابعا" تحدثنا عن موضوعي المعاشرة والعزلة وختمناه خامسا" بما يميز موقف الغزالي عمن تقدمه في موضوع الصداقة . ومن الله نسأل العون التوفيق .

أولا" : موقف الفلاسفة الذين تقدموا الغزالي من الصداقة .

مما لامرية فيه ان الصداقة شغلت مكانة مهمة عند الفلاسفة بوصفها مسألة اخلاقية جديرة بالاعتبار وحقيقة اجتماعية اصيلة وتأكيد اهميتها امر خليق وعريق . ونظرا" لسعة هذا الموضوع واهميته فان الإحاطة بكل ماكتبه الفلاسفة حول الصداقة امر يحتاج الى دراسات كثيرة لايسعها بحث او بحثين بل بحوث عدة لذا اقتصرنا هنا على الفترة التي سبق بها الفلاسفة للغزالي كي تكون شبه المدخل لموضوع الصداقة عند الغزالي معتمدين على بعض فلاسفة اليونان وبعض فلاسفة المسلمين انموذجا" وسيكون عرضنا لافكارهم بصورة مقتضبة .

١ــ الصداقة في الفكر الفلسفي ــ وسنبدأ مع ديمقريطس (٤٧٠ ــ ٣٦١ ق.م) الذي اكد في بعض حكمه دور التعاون بين الاصدقاء وان يمنح الانسان اخاه المال اذا كان محتاجا" اليه والعلم ايضا" والنصيحة حيث قال : ((من اعطى اخاه المال فقد اعطاه خزائنه ، ومن اعطاه علمه ونصيحته فقد وهب له نفسه)) (٢) . وهو وان فضل منح العلم والنصيحة على المال إلا انه يعني باعطاء العلم لمستحقية او من هم اهل له ، قال في احد حكمه ((مثل العلم مع من لايقبل وان قبله لايعمل ، كمثل دواء مع سقيم وهو لا يداوي به)) (٣) . واثنى الفيلسوف سقراط (٤٦٩ ــ ٣٣٩ ق.م) على اهمية الصداقة مؤكدا" دور الصديق في نصيحة صديقه ومن ضمن ما نقل عنه ، انه ينبغي على الصديق اذا وعظ صديقه ان لايتشكل بشكل منتقم من عدو ولكن بشكل من يسعط او يكوي بعلاجه داء الصديق ، واذا وعظ الانسان بشيئ فيه صلاحه فينبغي ان يتشكل بشكل المريض للطبيب (٤) . ونقل عنه ايضا" انه مما يدل على عقل صديقك ونصيحته انه يدلك على عيوبك وينفيها عنك ، ويعظك بالحسنى ويتعظ بها ضدك ، ويزجرك عن السيئة وينزجر عنها لك (٥) .

وهكذا نظر سقراط للصديق بوصفه مرآة لصديقه يكشف له عن عيوبه ويحاول ان يوصله الى بر الامان معتمدا" طريقة النصيحة التي لا تجريح فيها للمقابل ، وان اضطر يلجأ الى الموعظة والزجر عن المساوئ التي تخلص منها الناصح وعرف مضرتها وانه من باب مراعاة حق الصداقة اعتمد هذه الطرق .

وشغلت مسألة الصداقة ايضا" فكر تلميذ سقراط الفيلسوف الكبير افلاطون (٤٢٧ ــ ٣٤٧ق.م) الذي افرد للصداقة محاورة كاملة سماها ليزيس بيّن فيها ان الرجل اذا كان

عاقلا" او حكيما" فان كل الناس سيكونون اصدقاءه ومقربين له لان هكذا انسان سيكون مفيدا" وجيدا" اما اذا لم يكن كذلك فانه لا احد سيكون صديقه حتى اقاربه واهله امه وابوه (٦) . واضاف ايضا" ان المؤذي او المسيء لا يستحق الصداقة لان الصداقة الحقه هي التي تحصل بين الجيدين ، أما المسيئون وان كانوا ينالون صداقة الا انها ليست حقيقية سواء كانت مع الخير او مع الشرير(٧).

ووضح ايضا" بان الصداقة تقوم على المحبة بين الاصدقاء وهذا ينطبق على صداقة الجيدين لان الجيد هو الجميل والجمال امر مرغوب فيه ، وبالتالي فان حضور الشخص الخير يثير الرغبة بما هو خير بينما الشرير بخلاف ذلك (٨) والرغبة في الصداقة يدخل فيها فضلا" عن المحبة دور العقل أيضا" ، ناهيك عن التجانس بين الأصدقاء وهذا ينطبق على صداقة الأخيار مع بعضهم لان الشرير لا يتجانس مع الخير وان وجد عنده تجانس فانه سيكون مع الأشرار(٩).

ونجد افلاطون في الجمهورية قد تطرق لبعض الافكار التي تتعلق بالصداقة تتمثل بان ما يقع بين الأصحاب والأقارب من مشادة وصراع لا يسمى حربا" بل نزاعا" لان الأصحاب لابد لهم من ان يتصافوا ويتصالحوا بروح الإخاء،ولا يحق استعباد بعضهم البعض(١٠) .

واهتم بالصداقة ايضا" المعلم الاول ومؤسس المنطق ، ارسطو طاليس (٣٨٤ ــ ٣٢٢ ق .م) الذي كان له باع طويل في موضوع الصداقة وأهميتها حيث أكد دور المحبة بالصداقة بوصفها فضيلة وشيء ضروري بالنسبة للإنسان ، والصداقة من الأمور الضرورية اذ لايستطيع الانسان ان يختار الحياة من غير الأصدقاء حتى لو كانت له جميع الخيرات (١١) .

وقسم الصداقة إلى عدة أنواع هي : صداقة منفعة ، وصداقة لذة ، وصداقة فاضلة . فاما عن صداقة المنفعة واللذة فلا تعد صداقة حقه وذلك لان الافراد يتعاشرون هنا لغرض المنفعة واللذة ، وانها ستنتهي متى ما انتهت اللذة والمنفعة ،

وهذا ما لايوجد في صداقة المتحابين لان المتحابين لا يجدون متعة صداقتهم في المنفعة او اللذة، بل متعة المحبة تحصل بالنظر الى المحبوبين ورعايتهم (١٢) وهذه هي الصداقة الفاضلة التامة والتي تحصل بين المتشابهين بالفضيلة حيث يريد الاصدقاء هنا الخيرات بعضهم لبعض على نحو متشابه وهؤلاء هم الاخيار بذاتهم وعندها ستدوم صداقتهم ما داموا اخيارا" ، وفضلاء فمحبتهم باقية ايضا" لان في هكذا صداقة يجتمع في ذاتها جميع

ما ينبغي ان يكون للمخلصين(١٣) فضلا" عن ذلك فان الصداقة الفاضلة تختلف عن صداقة المنفعة واللذة فهكذا صداقات يتصاحب فيها الافراد بسرعة ويتقاطعون بسرعة لانها تقوم على العاطفة واقتفاء اثر اللذة وهكذا اصدقاء يختلفون كثيرا" مع بعضهم حتى في اليوم الواحد ، فهي صداقة عرضية اما الصداقة الكاملة ، فهي التي لا تؤثر بواسطة العاطفة بل بوساطة العقل (١٤) والتي يحب بها الفرد أصدقاءه الآخرين كمحبة الفرد لخاصته او لمملكته ، وهذه الصداقة تتميز بالجدية ، والصديق الجيد بوساطة عمله الجدي سيكون صديقا" للآخرين ويصبح الآخرون جيدين ويكون بينهم توازن مكافئ بين رغبات الأصدقاء الذين يحبهم ورغباته هو (١٥) فضلا" عن ذلك فان هكذا رجل سيحافظ على سمعة أصدقائه ، وعليه ان لا يصدق أي شيء يشوه سمعتهم وفاء" لهم وان لا يبحث عما هو غائب او نقاط الضعف عند أصدقائه لان ثقتهم ببعضهم يجب ان تكون كاملة وان يكونوا قادرين على رفع الضرر بكل أنواعه و أجزائه (١٦) فعلى الصديق اذا تحول صديقه الخير إلى شرير ان لا يقطع العلاقة به بل يجب إصلاحه خصوصا" إذا كان بالإمكان إصلاحه فهو أحرى ان يعان في الخلق اكثر من المال ، فإذا انصلح يجب مصادقته ، أما الذي لاشفاء له بسبب صفة الشر فستنحل عنه رابطة الصداقة (١٧) لان المعاشرة امر مختار حيث يختار الاصدقاء الحياة المشتركة مع من يحبون ، وللمعاشرة دور كبير من حيث تأثيرها على المتعاشرين فذوي الصداقة الرديئة يعاشرون ذوي الرداءة والذين لاثبات لهم ويصيرون اشرارا" بتشابه بعضهم ببعض ، اما ذوي الاستئهال فتزاداد معاشرتهم ومن يعاشرهم يصير اجود اذا فعلوا من اجل ان يقوم بعضهم بعضا" ويتمثل بعضهم من بعض بالتي يرتضون منها الخيرات من الخير (١٨) .

من خلال ما تقدم تتضح لنا اهمية الصداقة عند فلاسفة اليونان ، وحان الوقت للحديث عن اهميتها عند المسلمين .

٢ــ الصداقة في الفكر الفلسفي الاسلامي :ــ مثلما اهتم اليونان بموضوع الصداقة فان المسلمين منحوه اهمية كبيرة ايضا" وسنتخذ من اخوان الصفاء والتوحيدي انموذجا" (١٩). اما اخوان الصفاء فعرف عنهم انهم بالغوا في اهمية الصداقة القائمة على المحبة والمعاشرة ، وذهب بعض الباحثين الى ان اسمهم مأخوذ من قصة الحمامة المطوقة في كليلة ودمنة أي ربطوا بين تسميتهم والصداقة(٢٠) .

اكد الاخوان ان على الانسان اذا اراد ان يتخذ له صديقا" ان يعرف احواله واخباره ويجرب اخلاقه ، ويسأل عن مذهبه . ورفضوا صحبة من له اخلاق رديئة وعادات سيئة ومعتقدات خاطئة مثل عدم الإيمان بيوم الحساب فضلا" عن الكبر والحرص والحسد بوصفها اخلاق مذمومة من جانب ولان العادات القبيحة تقوي الاخلاق الرديئة من جانب اخر . لذا ركزوا على العادات الجميلة لانها تقوي الاخلاق المحمودة . وبينوا ان اخوان الصدق هم الذين يتعاونون على امور الدين والدنيا ونيل نعيم الدنيا وسعادة الاخرة . فضلا" عن نصرة بعضهم عند الشدائد ودفع الاعداء (٢١) بل يجب ان يكون الاصدقاء بمثابة ظهر يستند اليهم في السراء والضراء ، فهم كنوز مدخورة ليوم الحاجة وجناح خافض عند المهمات وسلما" لصعود المعالي وعلى الاصدقاء ايضا" اذا غاب عنهم صديقهم حفظوه وان ضعف عضدوه واذا نسى ذكروه بامر البر والخير الذي يتسابقون اليه فيرغبونه بالخير ويبادرون اليه ويدلونه عليه ويبذلون المال والنفس دون صاحبهم ، وان يغفروا زلات بعضهم وهفواتهم ، وعلى الاصدقاء ان يتشاوروا في امورهم وان يقوا عرض صاحبهم ويحفظوا سره(٢٢) .

ونظروا للصداقة بوصفها لاتقوم بين شخصين مختلفين بالطبع ، لان الضدين لايجتمعان ، فالسخي والبخيل مثلا" لاتتم بينهما صداقة ولا تصفو لهما مودة ولايهنأ لهما العيش معا" ، لان السخي اذا عمل بموجب طبعه عدّ البخيل عمله بمثابة التضييع للمال ، بينما البخيل اذا فعل بمقتضى طبعه من امساك المال ، رآه السخي بصورة من قد اتى منكرا" وعندها يعتقد البخيل بالسخي ، سخف الرأي . ويعتقد السخي في البخيل النذالة والدناءة وصغر النفس وقصور الهمة . وقد يؤدي ذلك الى الوحشة التي تصير عداوه ، والعداوه تصير الى الصرامة . وعلى هذا القياس في كل خلقين متضادين مختلفين فانهما يوجبان المنازعة ، والمنازعة توجب المغالبة والمغالبة توجب المقايضة التي توجب المباغضة والتي هي ضد الصداقة (٢٣) .

والصداقة الحقة في منظور الاخوان هي التي لاتنقطع ولايتغير فيها الصديق بعد تبدل احواله مثلا" من فقر الى غنى .... الخ وهذه الصداقة لاتنقطع وهذا ينطبق على صداقتهم:((الاخوان الصفاء الذين ليست صداقهم خارجه من ذاتهم ، وذلك ان كل صداقة تكون لسبب ما ، فاذا انقطع ذلك السبب بطلت تلك الصداقة ، الاصداقة اخوان الصفاء ، فان صداقتهم قرابة رحم ، ورحمهم ان يعيش بعضهم لبعض ، ويرث بعضهم بعضا" ،

وذلك انهم يرون ويعتقدون انهم نفس واحدة في اجساد متفرقة ، فكيفما تغيرت حال الاجساد بتحقيقتها ، فالنفس لاتتغير ولا تتبدل....)) (٢٤) .

وبناء" على ذلك فللصديق حقوق مثلما للاخ والزوجة ويجب مراعاتها بل ينبغي ان يؤثر عليهما. وبكسب الاصدقاء سعادة الانسان خصوصا"اذا كان هذا الصديق معلما" ، عارفا" بحقائق الامور ، مؤمنا" بيوم الحساب، عالما" باحكام الدين ، بصيرا" بأمور الاخرة ، خبيرا" بأحوال المعاد ومرشدا" اليها (٢٥) .

وكي يؤكد الإخوان أهمية التعاون بين الأصدقاء ، وضحوا بأن على صاحب المال والعلم معا" ان يعطي المحتاج للمال من ماله والمحتاج للعلم من علمه ، اما ذو المال فعليه ان يعطي صاحب العلم من ماله ويستفيد من علم صاحب العلم شريطه ان لايمن صاحب المال على صاحب العلم ولا صاحب العلم على صاحب المال ، وعلة ذلك ان في المال حياة النفس في الدنيا وفي العلم حياة النفس في الآخرة (٢٦) .

وخلاصة تصور الصداقة عند اخوان الصفاء ، انهم قسموا الاصدقاء مراتب على اساس ، صفاء جوهر نفوسهم وجودة قبولهم وسرعة تصورهم ، وعلى ما يقدمونه من خدمة ومراعاة لاصحابهم من الرحمة والتحنن والشفقة والسخاء ، والنصرة ودفع العناد والخلاف عند ظهوره والنصيحة ومشاهدة الحق عيانا" (٢٧).

هذه ابرز الافكار التي ناقشها اخوان الصفاء في رسائلهم اوردناها بصورة موجزة كي نفسح المجال لابي حيان التوحيدي (٢٨) .

فالتوحيدي يرى ان معنى الصداقة لغة ، صحة الظاهر بالموافقة ، وسلامة الباطن من المخالفة واستقرارها على حد المواصلة بالمناصفة والمساعفة والايثار ، مع الاهتمام بكل دقيقة وجليلة ، والاحتياط في كل ما حرس اسباب القوى والزلفة ، واطراح كل ما اشار الى المؤنة والكلفة(٢٩).

فهو دعا الى ان يكون الصديق صادقا" مع من صاحبه، فلا يظهر له بخلاف ما يبطن ، بل يجب اتفاق الظاهر بموافقته وفي الباطن بعدم مخالفته ، وان يكون عونا" لصديقه مع مراعاة حقوقهم وكأنها حقوقه ويؤثر صديقه على نفسه فضلا" عن اهتمامه بكل اموره صغيرها وكبيرها مع السعي في عمل ما يقر به لصاحبه ويزيد من محبته .

ومثلما نظر للصداقه على انها الصدق نراه يقول نقلا" عن النوشجاني (٣٠) :(والصدق ميزان النفس وصورة العمل وكمال الجملة وزينة التفصيل ، واذا ألف انسان فقد اجراه

مجرى جميع ما سميناه ، واذا صادقه فقد رفع شأنه واعلى مكانه وميز قدره وافرد حاله فيما لايصدق اذا حدث ولاينصف اذا عومل))(٣١) .

وأكد ايضا" ان على الصاحب ان يعلي من شأن صاحبه ويكون له سندا" في السراء الضراء ، مع التزام النصيحة للصديق فالعاقل هو الذي يدلل صاحبه على عيوبه ويسعى الى نفيها بالنصيحة والموعظه الحسنة على ان يكون عاملا" بما ينصح به غيره (٣٢) .

وعلى الصديق ان يقبل نصيحة صديقه دون الاستعلاء على النصيحة ، بل يجب عليه ان يتشكل بشكل المريض ، وبالوقت نفسه ان الناصح يجب إلا يكون حازما" في نصيحته وكأنه يريد ان ينتقم منه بل يجب المداراة والتشكل بصورة من يسعط او يكوي بعلاجه داء صديقه (٣٣) .

والصداقه عند التوحيدي مبعثها التكامل بين اثنين وهدفها الفضيلة حيث يطمئن بعضهم إلى بعض مؤكدا" رابطة المودة والثقة المتبادلة (٣٤) .

هكذا نظر التوحيدي ومن قبله اخوان الصفاء للصداقة وان ما ذكرناه هو غيض من فيض، وبعد هذا العرض المختصر سنتكلم عن موقف ابي حامد الغزالي .

ثانيا" : موقف الغزالي من الصداقة .

قبل الدخول بتفاصيل المواضيع التي تتعلق بالغزالي لا مندوحة لنا الا ان نبين ان ابا حامد كان يفضل استخدام مصطلح الصحبة بدلا" من مصطلح الصداقة وهذا التفضيل يتضح لنا في احياء علوم الدين ، فهو عندما افرد كتابا" حول الصداقة سماه ((كتاب اداب الالفة والاخوة ، والصحبه والمعاشرة مع اصناف الخلق)) وهو الكتاب الخامس من ربع العادات (٣٥) .

ولكن هذا لا يعني انه لم يستخدم مصطلح الصداقه فهو استخدمه في بعض مصنفاته كالمنخول مثلا" وكتاب المستصفى في علم الاصول (٣٦) .

ولا نعرف السبب الذي جعل الغزالي يؤكد مصطلح الصحبة بدلا" من الصداقة (٣٧) . وقد يخيل للمرء انه اكد الصحبه تبركا" بكلمة الصحبة للرسول محمد (ص) فنقول هذا امر مستبعد جدا" لانه حدد مفاهيم هذا الموضوع في المستصفى(٣٨)وانها لا علاقة لها بذلك .

وبعد ان وضحنا تفضيل الغزالي لمصطلح الصحبة فاننا سنسايره في استخدام هذا المصطلح وان كان موضوع دراستنا قد وسمناها بالصداقة فان هذا امر ليس فيه خطر ما

دام الغزالي عنى بالصحبه الصداقة وهذه المسألة تتضح من خلال المواضيع التي ناقشها تحت موضوع الصحبة وهي في اغلبها ناقشها الفلاسفة تحت عنوان الصداقة بدلا" من الصحبة .

١ــ الألفة والاخوة : ــ الألفة عند الغزالي هي ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة سوء الخلق ، وحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق ، اما سوء الخلق فيثمر التباغض والتباعد والتحاسد ، وهكذا فكلما كان المثمر محمودا" كانت الثمرة محمودة (٣٩) والصحبة هي ثمرة حسن الخلق عنده لانه عرّفها بانها المجالسة والمخالطة والمجاورة ، وهذه الامور لايقصد الانسان بها غيره إلا إذا أحبه ، لأن غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا تقصد مخالطته .

وعلى الرغم من تأكيد ابي حامد على دور الاختيار في الصحبة الا انه اشار الى حصولها بالاتفاق احيانا" بسبب علاقات الجوار او الاجتماع في المكتب او في المدرسة او على باب السلطان او في الاسفار ولكنه لم يعط هكذا صحبه الاهمية التي اعطاها للاولى وعلة ذلك نجدها بقوله : ((.... الذي نريد بيانه اذ الاخوة في الدين واقعه في هذا القسم لامحالة اذ لاثواب الاعلى الافعال الاختيارية ولا ترغيب الافيها)) (٤٠) .

واذا كانت الصحبة تقوم على المحبة فان للمحبة بين الاصحاب اسبابا" عدة ، اما ان يكون حبا" للشخص لذاته دون ان يكون من وراء محبته مقصود معين ، واما ان تكون لغرض التوصل الى مقصود معين وهذا المقصود اما ان يكون دنيوي ، واما اخروي ، واما ان يكون لامر متعلق بالله تعالى حيث يجمع بين ما هو دينوي وما هو اخروي .

أ ــ حب الانسان لذاته : فاما عن حب الانسان لذاته فأمر ممكن ومباح شرعا" وخصوصا" اذا لم يتصل به غرض مذموم ، وهذا يتمثل في التذاذ نفسي يحصل برؤية الشخص المحبوب ومشاهدة اخلاقه ، فكل جميل لذيذ في حق من ادرك جماله وكل لذيذ محبوب واللذة عند الغزالي تتبع الاستحسان الذي يتبع بدوره المناسبة والملاءمة والموافقة بين الطباع ، والاستحسان مرده امران اما ظاهري كاستحسان الخلقة الحسنة ، واما باطني ويتمثل بكمال العقل وحسن الاخلاق التي يتبعها حسن الافعال وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل المستقيم .

ومسألة المحبة هذه لايدخل فيها دور الطبع والعقل السليمين وحسب بل يدخل فيها امور ما فوق الطبيعة (٤١) ايضا " حيث وضح بانه تحصل عملية ائتلاف قلبي بين شخصين من

اول نظرة فينتج عن ذلك محبة احدهما للاخر دون ان يكون السبب ملاحة الصورة مثلا" او حسن الخلق او ماشاكل ذلك ، وانما علة ذلك امر خفي يتمثل في ان الارواح في عالم الذر حصل بين بعضها تعارف وعند التقائها في الحياة الدنيا تحصل الالفة ، بينما بعض الارواح تنافرت مع بعضها فعند التقائها بالدنيا سوف لاتتناسب فيما بينها ، وهذه المسألة تعبر عن اشياء باطنة خفية ولها اسباب دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها ، ولهذا السبب نجد الغزالي يلجأ الى الادلة النقلية حيث استشهد بقول الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) : ((الارواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف)) (٤٢) .

والغزالي في موضوع تعارف الارواح في عالم الذر يذكرنا بالفكرة التي نادى بها افلاطون عندما ذكر ان نفوسنا كانت في صحبة الالهة قبل حلولها البدن وانها تعارفت وبعد ان انزلت بسبب الخطيئة الى الارض اصبحنا قادرين على معرفة اصدقائنا عند رؤيتهم (٤٣) .

ب ــ محبة الانسان لآخر لينال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة الى محبوب غيره ، فالوسيلة الى المحبوب محبوبه ، وما يحب لغيره كان ذلك الغير هو المحبوب بالحقيقة ، ويدخل في ذلك محبة الطريق الذي يوصل الى المحبوب . ويدخل ضمن هذه المحبة الأغراض الدينوية كالذي يحب سلطانا" معينا" لانتفاعه بماله اوجاهه فضلا" عن محبة خواصه الذين يحسنون صورته عند السلطان ، وكمحبة طالب العلم الذي يحب أستاذه لا لذاته بل لغرض الاستفادة من علمه ، وجعله وسيلة لطلب الجاه والمال والقبول عند الآخرين .

وهذه المحبة مذمومة لارتباطها بمصالح دنيوية زائلة ومقاصد عدها أبي حامد مذمومة ، ولكنها تباح في حال اذا كان القصد امر مباح كالذي يحب أستاذه لغرض العلم ذاته ولكن هذه المحبة على كل حال لا تدخل ضمن محبة الله تعالى .

جـ ــ ان يحب إنسان لآخر لا لذاته ، بل لغيره وذلك الغير غرض اخروي ، وهذه المحبه محموده ومثالها محبة المتعلم لاستاذه او شيخه لانه يتوصل به الى تحصيل العلم والعمل من اجل نيل الاخرة ، وتتمثل ايضا" على سبيل المثال بمحبة المعلم الى تلميذه لانه يتلقى منه العلم الذي سيكون سببا" لتعظيم عمله في الاخره فينال مرتبة التعظيم في الملكوت (٤٤) .

وعلى الرغم من تأكيد ابي حامد على ان هذه المحبة ترتبط باغراض اخروية ، نجده يؤكد ايضا" ان هذا النوع من المحبة يمكن الجمع فيها بين الدنيا والاخرة ، ومثال ذلك محبة الانسان لمن يواسية بكسوته وطعامه ومسكنه ، وينفق عليه من ماله ويعينه في جميع اموره الدنيوية ليسهل عليه التفرغ للعلم المقرب الى الله وتكون المحبة اكبر إذا كان الذي يعين من يطلب العلم هو المعلم نفسه . فالمحبة هنا للعلم جاءت لامرين هما انه سد حاجاته الدنيوية وقدم له علما" يفيده في الحياة الاخروية . وهذه المحبة تدخل ضمن المحبة لله ايضا" ، لانه محبة الله لاتتعارض مع الجمع بين المحبتين إذ الدعاء الذي امر به الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه فيه جمع بين الدنيا والاخرة (٤٥) .

ومن ذلك قولهم:(ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة) (٤٦) وقال الرسول محمد (ص):((اللهم اني اسألك رحمة انال فيها من شرف كرامتك في الدنيا والاخرة))(٤٧) .

واتماما" للفائدة نقول ان الغزالي اعطى حدا" لهذه المحبة قائلا" : ((وحدّه هو ان كل حب لولا الايمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده ، فهو حب في الله ، وكذلك كل زيادة في الحب لولا الايمان بالله لم تكن الزيادة فتلك الزيادة من الحب في الله ، فذلك وان دق فهو عزيز)) (٤٨) أي انه اراد ان يبين بانه هذه المحبة وان كان بالإمكان الجمع فيها بين محبة الدنيا والآخرة هي الأساس أما محبة الدنيا فهي لاجل صلاح الآخرة لا لاجل الدنيا ذاتها ، وهذه الفكرة ستزداد وضوحا" في حديثه عن أسمى درجات المحبة وهي .

د ــ ان يحب لله و في الله لالينال منه علما" او عملا" او يتوسل به إلى أمر وراء ذاته وهذه أعلى الدرجات وادقها واعمقها ، ومن اثار من غلبه هذا النوع من الحب انه سيتعدى من المحبوب الى كل ما يتعلق به ويناسبه ولو من بعد ، ومثال على ذلك ان من احب انسانا" حبا" شديدا" ، احب محب ذلك الانسان ومحبوبه أيضا" ، بل يشمل الحب كل من يخدمه ويثني عليه ويسارع الى رضاه ، وكلما ازدادت محبة هذا الشخص كلما ازداد حب كل مايحيط به ويتعلق به . وهكذا بالنسبة لمن احب الله سبحانه وتعالى فعندما يستولي حبه تعالى على قلب الانسان ويصل الى اعلى درجاته فأن الحب سيتعدى الى كل موجود سواه ، لان هذه الموجودات اثر من اثار قدرته . وحب الانسان لله يكون على ضروب ثلاثة :

١ــ يكون حب الله تارة لصدق الرجاء في مواعيده وما يتوقع في الاخرة من نعيمه .

٢ــ تارة لما سلف من أياديه وصنوف نعمته .

٣ــ حبه لذاته لا لامر أخر ، وهذا ادق ضروب المحبة و أعلاها .

ووضح الغزالي انه كيفما اتفق حب الله فانه إذا قوي تعدى إلى كل ما يتعلق به ضربا" من التعلق حتى يتعدى إلى ما هو في نفسه مؤلم ومكروه ولكن فرط الحب يضعف الإحساس بالألم والفرح بفعل المحبوب وقصده إياه بالإيلام يغمر أدراك الألم .

ومحبة الإنسان لله إذا اشتدت عندها يصل إلى مرحلة بحيث يحب كل إنسان يقوم بحق العبادة من علم او عمل ، ويحب كل من كانت فيه صفه مرضية .لله ، من خلق حسن أو تأدب بآداب الشرع ، وسيجد الإنسان المحب لله المؤمن ميلا" لكل عالم عابد ولا يميل لكل جاهل فاسق فالمؤمن إذا سمع بعالم عابد وجاهل فاسق سيكون له ميل نحو الأول وعدم رغبة بالثاني على الرغم من انه لم يراهما بل سمع بهما (٤٩) .

هكذا نظر ابو حامد للمحبة وأقسامها والتي اعتبرها الأساس الذي تقوم عليه الصحبة ، ومثلما المحبة لها درجات فان للصحبة درجات أيضا" واسماها التي تقوم على محبة الله تعالى حيث لا تهدف إلى مصالح دنيوية مصيرها الفناء العاجل ، وهذه الصحبة الحقة التي تستحق الثناء .

ومثلما أكد على ضرورة الحب في الله نجده يؤكد موضوع البغض في الله أيضا" والذي يكون سببا" رئيسا" في الحيلولة دون قيام الصحبة خصوصا" مع المتجاوزين على حدود الله وهذا الأمر سنبينه لاحقا" ، والذي يهمنا في موضوع البغض مسألة مهمة وهي أن الغزالي يدعو إلى محبة المطيع لله وبغض العاصي ، فماذا يكون الموقف مع من اختلطت طاعاته بمعاصيه ؟

الجواب : انه يرى الجمع بين الامرين أي المحبة والبغض فنحبه على طاعاته ونبغضه على معاصيه . وهنا نطرح سؤال اخر هو اليس في ذلك تناقض (٥٠) .

يجيب الغزالي : أن ذلك غير متناقض في حق الله تعالى ، كما لا يتناقض في الحظوظ البشرية ، وقدم عدة أمثلة منها ، الرجل الذي له ولد ذكي خدوم ولكنه فاسق ، فانه يحبه من وجه ويبغضه من وجه ويكون معه على حاله بين حالتين ولو فرض ان له ثلاثة أولاد أحدهم ذكي بارع والآخر بليد عاق والثالث بليد بار أو ذكي عاق ، فانه يصادف نفسه معهم على ثلاثة أحوال متفاوته حسب تفاوت خصالهم . وهكذا ينبغي على الانسان ان يتعامل مع من غلب عليه الفجوربالبغض ، ومع من غلبت عليه الطاعة بالمحبة ، ومع من جمع بينهما بالحب والبغض معا" (٥١) .

وهكذا فكرة لم يكن ابا حامد اول من نبه عليها في الفلسفة الاسلامية ، بل سبقه في ذلك اخوان الصفاء عندما تكلموا عن اللذة والالم الروحانيتان حيث وضحوا بان الانسان في بعض الحالات يجمع الشعور باللذة والالم في وقت واحد ومثال ذلك من يسمع بوفاة موروث له فهو يغتم لخبر موته ويسره ما سيرث عنه .ومثال اخر الشخص الذي يسمع لحنا" طيبا" ونغمة لذيذة كغناء ابيات من الشعر فيها هجو له ، فهو يلتذ باستماع اللحن اللطيف أي يشعر بالفرح والسرور ويغتم (يحزن) على هجوه في الوقت نفسه (٥٢) .

هذه ابرز الافكار التي ناقشها الغزالي حول المحبة والتي تعتبر الشرط الرئيس لقيام الصحبة وبعد ان بيناها سننتقل الى موضوع اخر مهم هو .

٢ــ الشروط اللازم توافرها بالشخص المراد صحبته .

عرف عن الغزالي انه نظر للانسان نظرة كلية ليست متجزئة حيث ربط بين الفرد وعلاقته بالمجتمع وعبر عن العلاقة بينهما بالألفة التي هي ثمرة حسن الخلق (٥٣) كما نظر للبعد النفسي أي علاقة الفرد مع نفسه ومع ربه اضافة الى البعد الميتافيزيقي الذي يتمثل بعقيدته وقيمه ومثله (٥٤) .

وجمع بين هذه الجوانب في حديثه عن الصحبة . ولكن على الرغم من تأكيد اهمية الصحبة إلا أنه لايشجعنا على مصادقة كل من هب ودب بل وضع شروط عدة يجب توافرها بمن نريد ان نتخذه صديقا" مقتيدا" بقول رسول الرحمة محمد (ص) : ((المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل)) (٥٥) وبناءا" على ذلك يجب ان يكون الصاحب عاقلا" ، حسن الخلق ، غير فاسق ولا مبتدع ، وان لا يكون حريصا" على الدنيا .

فاما العقل فعده رأسمال الصداقة والاصل حيث بيّن انه لاخير في صحبة الاحمق لان عاقبتها الوحشة والقطيعة وان طالت . وعلى الانسان العاقل الا يصاحب جاهلا" والاسباب واضحة في ابيات الشعر التي استشهد بها ابو حامد الغزالي عن الإمام علي (ع) :

فلا تصحب اخا الجهل وايــاك وايـــاه
فكم من جاهــل اردى حليما" حين اخـــاه
يقاس المرء بالمــرء اذا ما المرء ما شاه
وللشيء على الشيء مقاييس واشبـــاه
وللقلب علـــى القلب دليل حين يلقـــاه (٥٦).

فالعاقل يفهم الامور على ماهي عليه ويتصرف بحكمة اما الجاهل فلا يفهم حقيقة الامـــور وبالتالي يتصرف عن جهل وانه حتى لو حاول ان ينفع صديقه العاقل ويعينه فانه يـــضره في كثير من الاحيان من حيث لايدري(٥٧)

فضلا" عن ذلك فان بقية الابيات توضح لنا ان العاقل اذا ساير الجهال سينظر له على انه جاهل على الرغم من رجحان عقله وعلة ذلك هي أن اغلب الناس تؤمن بفكـــرة مفادهـــا شبيه الشيء منجذب اليه فتجعل من العاقل شبيها" للجاهل ، وانطلاقا" من هذه المقـــدمات يجب على العاقل ان يتجنب مصادقة الجاهل والاحمق لان في ذلك شبهه وعلى العقلاء ان يحذروا مواطن الشبهات .

اما حسن الخلق فلابد منه عند العقلاء لان العاقل اذا لم يكن كذلك فانه عندما يغلب عليـــه الغضب او الشهوة او أي فعل غير حسن اخلاقيا" كالبخل والجبن وطاعة الهوى فان ذلك يجعله يخالف ما هو معلوم عنده عقلا" لعجزه عن قهر صفاته وتقويم اخلاقـــه ، وانـــسان كهذا لاتصلح صداقته او على حد تعبير الغزالي لاخير في صحبته.(٥٨)

ويمكن تلخيص حسن الخلق عنده ، في ان الصاحب يجب عليه ان يصون صاحبه ويخدمه وان يكون زينه له واذا قعدت مؤنته مانه ، وعليه ان يصحب من اذا مـــد يـــده بخيـــر لصاحبه مدها ، وان رأى منه حسنة عدها وان رأى سيئة سدها ، وان يـــصحب مـــن اذا سأله اعطاه وان سكت ابتداه ، وان نزلت به نازله واساه ، وان قال صدق قوله وان حاولا امرا" امره وان تنازعا آثر صاحبه (٥٩) .

واستشهد الغزالي بقول الخليفة عمر بن الخطاب (رض) : ((عليك بإخوان الصدق تعش في اكنافهم فانهم زينة في الرخاء وعده في البلاء ، وضع امر اخيك على احـــسنه حتـــى يجيئك ما يغلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين من القوم ولا أمين إلا من خشي الله فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امـــرك الذين يخشون الله تعالى)) (٦٠) .

وللغزالي فضلا" عن هذه الشروط شروط اخرى اكد ضرورة توافرها بمن نصاحبه ولكنه قدم شرطا" رئيسا" هو ان لايكون كافرا" ولا ذميا" ، فهو عندما تكلم عن موضوع الصحبة عنى به صحبة المسلم للمسلم لهذا عد الكافر وغير المسلم ليسوا أهلا" للصداقة ،فاما الكافر فلكونه عدوا" للمسلم وعندما يحاربه اصبح واجب قتله وأرقاقه ، واما الذمي فكان موقـــف ابي حامد منه هو النهي عن صداقته ومخالطته فضلا" عن تجنـــب معاملتـــه ومؤاكلتـــه

والاسترسال معه ،وان العمل بخلاف ذلك مكرها" كرها" شديدا" يصل حد التحريم ، بل طالب حتى بعدم مفاتحته بالسلام(٦١) ومن الشروط ايضا ان لا نصاحب الفاسق المصر على الفسق فهكذا انسان لا فائدة في صحبته لان من يخالف الله لا يصير على كبيره ، ومن لايخاف الله لا تؤمن غائلته ولا يوثق بصداقته فهو يتغير بتغير الأعراض ، وذكر نخبة عطرة من الايات القرآنية المباركة كشواهد على قوله ((ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه))(٦٢) وقوله تبارك وتعالى((فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه)) (٦٣) وقوله تعالى ((فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا)) (٦٤) وقوله جلّ وعلا ((واتبع سبيل من اناب إليّ)) (٦٥) .

ومثلما نهانا عن مصاحبة الكافر والذمي نراه ينهى ايضا" عن المبتدع لان في صحبته خطر سراية البدعة وتعدي شؤمها ، وعليه فالمبتدع يستحق الهجر والمقاطعة ، والمبتدع اذا كانت بدعته بحيث يكفر بها فامره اشد من الذمي لانه لايقر بجزية ويسامح بعقد ذمة ، وان كان ممن لايكفر به فامره بينه وبين الله أخف من امر الكافر لا محالة ولكن الامر في الإنكار عليه اشد منه على الكافر لأن شر الكافر غير متعدي لان المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون اليه (٦٦) .

فالغزالي عندما نهى عن مصاحبة الكافر والذمي والمبتدع لان هؤلاء يمثلون الذين يجب بغضهم في الله على معتقدهم والذي يبغض في الله لاتصح مصادقته ، وعندما نهى عن مصادقة الفاسق كان سببه ان الفاسق ينتمي الى الذين يجب يغضهم على اعمالهم ، كالظلمة واصحاب الماخور ، الذين ييسرون ويهيئون اسباب الفساد لغيرهم (٦٧) ونهى عن مصاحبة بعض الناس بسبب صفاتهم كالجهل والحمق والجبن والكذب . ويمكن تلخيص هذه المسالة بما ذكره الإمام ابي حامد عن الإمام جعفر الصادق(ع) عندما قال : ((لا تصحب خمسة الكذاب فانك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ، ويبعد منك القريب ، والاحمق فانك لست منه على شيء ، يريد ان ينفعك فيضرك . والبخيل فانه يقطع بك احوج ما تكون اليه ، والجبان فانه يسلمك ويفرعند الشدة ، والفاسق فانه يبيعك باكلة او اقل منها ، فقيل : وما اقل منها ؟ قال الطمع فيها ثم لاينالها)) (٦٨) .

من خلال ما سبق ندرك ان الغزالي لايشجع على مصادقة ذوي الاخلاق السيئة كما لايشجع على مصاحبة ذوي الاعمال الرديئة فضلا" عن المعتقد المخالف لدين الاسلام

الحنيف . ونستدل من ذلك انه طلب ممن يريد ان يتخذ له صاحبا" ان يستفسر عن ثلاثة مسائل رئيسية هي : معرفة معتقدة ، واخلاقه، وافعاله.

ويرى ايضا" ان الانسان يختار تارة اخا" لاخرته وطورا" اخا" لدنياه واخا" ليأنس به تارة اخرى ومن الندارة بمكان ان تجتمع في صاحب واحد كل هذه المقاصد ، واذا لم يجد رفيقا" يؤاخيه ويستفيد به احد هذه المقاصد فالوحدة به اولى .

والوحدة التي اكدها تقوم اساسا" على اعتزال الناس غير الصالحين ، وسبب ذلك هو ، ان الانسان مثلا" عندما يصاحب فاسقا" فانه بكثرة المجالسة له سيتاثر به ، فمشاهدة الفسق والفساق تهون امر المعصية على القلب وتبطل نفرته عنها ، ومن هذا المنطلق وصف صحبة اهل الدنيا بالسم القاتل ، لان الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء والطبع يسرق من الطبع من حيث لايدري صاحبه ، وهكذا فمجالسة الحريص على الدنيا تجعل من الإنسان حريصا" عليها ، ومجالسة الزهاد تزيد من الزهد فيها ومن خلال ما تقدم فأن صحبة أهل الدنيا مكرهه بينما صحبة الراغبين في الآخرة مستحبه (٦٩) .

فالغزالي وضح هنا دور البيئة الاجتماعية على اخلاق الفرد وهذا التأكيد مردة ، ان الاخلاق مكتسبة بحيث يتأثر الانسان باخلاق من يعاشرهم ، لذا نجده يشيد بدور التربية واهميتها عند الكبار وعند الصبيان . فهو في رسالة ايها الولد يقول : ((اعلم انه ينبغي للسالك شيخ مرشد مربِ ليخرج الاخلاق السيئة منه بتربيته ويجعل مكانها خلقا" حسنا" ومعنى التربية يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الاجنبية من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه...))(٧٠) .

وفي الاحياء يقول : ((... والصبي امانه عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ، ساذجة ، خالية عن كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل مانقش ، ومائل الى كل ما يمال به اليه . فان عود الخير وعلمه نشأ عليه . وسعد في الدنيا والاخرة ، وشاركه في ثوابه ابواه ، وكل معلم له ومؤدب ، وان عود الشر ، واهمل اهمال البهائم ، شقي وهلك ، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي عليه)) (٧١) .

وهذه لافكار دفعت احد الباحثين الى تأكيد اسبقية الغزالي في الافكار التربوية التي نادى بها فيما بعد جان جاك روسو (٧٢) . عندما تكلم عن دور مرحلة الطفولة في صناعة شخصية الانسان مع تأكيد دور البيئة في التأثير على اخلاقه . فالغزالي كما عرف عنه

ربط شروط الصحبة بالتربية التي تمنح الانسان اخلاقا" حقه تجعل من صـــاحبها اهـــلا" للصداقة . ومثلما" جعل للصداقة شروطا" جعل لها حقوقا" طالب بمراعاتها .

ثالثا" : حقوق الصحبة .

وضع الغزالي للاخوة عقد مثله بالعقد الذي يقام بين الزوجين وعله ذلك امران همـــا . ان الاخوة رابطة بين شخصين من جانب ، وانها تقتضي حقوقا" تلزم الطرفين الوفاء بها من جانب اخر مثلما يلزم عقد الزواج الزوجين التزام حقوقه .

وتتمثل حقوق الاخوة بالمال والنفس واللسان ، والقلب بـــالعفو والـــدعاء ، والإخـــلاص والوفاء ، والتخفيف ، وترك التكلف والتكليف . وسنشير الى هذه الحقوق كل على حـــده تباعا" .

١) حق المال : يتمثل بمواساة الاخوان بالمال ولها ثلاثة مراتب

أ / مرتبة دنيا . ينزل فيها الانسان اخيه ، منزلة عبده او خادمه فيقوم بحاجته من فـــضل ماله . وعليه اذا عرف بحاجة اخيه وكانت عنده فضله من ماله اعطـــاه ابتـــداء دون ان يسأله ، اما العطيه للاخوان عند سؤالهم فامر في غاية التقصير بحق الاخوة .

ب / مرتبة اعلى من الاولى ينزل فيها الانسان اخوه منزلة النفس والرضـــى بمـــشاركته ومشاطرته بالمال(٧٣).

ج/ المرتبة الثالثة وهي اعلى المراتب وفيها يؤثر الانسان اخوه على نفسه بتقديم حاجـــة اخيه على حاجته، وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين ، ويدخل ضمن ذلـــك الإيثار بالنفس ايضا" . وقال الغزالي : {واما الرتبة العليا فهي التي وصـــف الله تعـــالى المؤنين بها في قوله: ((وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون)) (٧٤) .

٢- حق الاعانة بالنفس في قضاء الحاجات وله مرتبتان دنيا وعليا .

ا/ الدنيا . وهي القيام بحاجات الاخوان عند سؤالهم مع القدرة على القيام بها مع التـــزام بشاشة الوجه والاستبشار مع اظهار الفرح وقبول المنه وعدم مطالبتهم بالهدايا عند قضاء حاجاتهم ، والصديق الذي يتعذر عن مساعدة صديقه مع انه مقتدر على ذلك فهو خليـــق بالمقاطعة على ذلك العمل ، فالذي لاتنفع صداقته لاتضر عداوته .

ب/ العليا . وهي إعانة الإخوان ابتداء دون طلبهم وهذا يتم لكون الانسان في هذه المرحلة يتفقد على الدوام احوال اخوانه بحيث يجعل حاجاتهم كحاجاته بل اهم منهـــا ، ولا يغفـــل

عنها ، ويقوم بها وكأنه لايدري . وان لايرى لنفسه حقا" بسبب الاعمال التي قام بها ، بل يتقلد منه في قبول السعي في حقه والقيام بأمره (٧٥) ومن الضروري هنا تفضيل الأخ على الأهل والأقارب بالاكرام في الزيادة والإيثار ، لأن الأهل يذكرون الإنسان في الدنيا بينما الاخوان يذكرونه في الآخرة . فالصحبة هنا ترتبط بالشفقة والاكرام التي من تمامها ان لاينفرد عن صاحبه بطعام لذيذ او حضور في مسرة دون صاحبه بل ينتغص لفراقه ويستوحش بانفراده عن اخيه .

٣- حق اللسان بالسكوت عن ذكر عيوب الصاحب في غيبته وحضوره وتجاهلها ، وستر الأسرار التي يجب ان لا ينكشف منها شيء ولو بعد المقاطعة والوحشة ، والسكوت عن القدح في أحباء الصاحب وأهله وولده . مع ترك حكاية قدح غيره ،فيه لأن التأذي يحصل أولا" من المبلغ ثم من القائل ،هذا من جانب ، وذكر مساوئ الصاحب وعيوبه ومساوئ أهله أمر مرفوض شرعا" واخلاقا" من جانب أخر ، بوصفه غيبة ، والغيبة حرام بحق كل مسلم ومسلمه لذا يجب أن ينزجر عنه اللسان . فضلا" عن ذلك فان الزاجر أمران :

أحدهما . ان على الإنسان مطالعة أحوال نفسه فان وجد فيها صفة مذمومة سيهون عليه ما يراه من اخيه ويقدر عندها انه مثلما هو عاجز عن قهر نفسه في تلك الصفة فان صاحبه عاجزا" أيضا" عما مبتلى به .

ثانيهما . أن الإنسان لو طلب صاحب منزه عن كل العيوب فانه سيعتزل عن الخلق كافة ، ولن يجد من يصاحبه أصلا" ، فما من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساوئ ، فإذا غلبت عليه المحاسن فهو الغاية والمنتهى .

فالانسان المؤمن هو الذي يحضر في نفسه محاسن اخيه لينبعث من قلبه التوقير والاحترام ، اما المنافق اللئيم فانه ابدا" يلاحظ مساوئ غيره وعيوبه (٧٦) .

فالغزالي أذن رفض غيبة الأصدقاء بعضهم لبعض وتجاوز الرفض غيبة اللسان الى غيبة القلب أيضا" حيث قال : ((وكما يجب عليك السكوت بقلبك ، وذلك بترك إساءة الظن ، فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهي عنه أيضا" ، وحده ان لا تحمل فعله على وجه فاسد ما أمكن أن تحمله على وجه حسن . فأما ما انكشف بيقين ومشاهده فلا يمكنك أن لا تعلمه وعليك ان تحمل ما تشاهد على سهو ونسيان ان أمكن)) (٧٧) .

وحقيقة لابد منها وهي ان الغزالي لايقصد بالظن هنا التفرس ، بل الى ما منشؤه سوء الاعتقاد، لان التفرس يستند الى علامة تحرك الباطن تحريكا" ضروريا" لايمكن دفعه .

فهو رفض سوء الاعتقاد الذي يحمل على وجهين اولهما من حيث انه يجعل صاحبه ينزل على الوجه الاردأ من غير علامه تخصه وذلك حرام في حق كل مؤمن بناء" على قول الرسول الكريم محمد (ص) :((ان الله قد حرم على المؤمن من المؤمن دمه وماله وعرضه وان يظن به ظن السوء))(٧٨) .

وثانيهما . ان سوء الظن يدعو للتجسس بمطالعة الاخبار ، والتحسس بالمراقبه بالعين وكلاهما منهي عنه شرعا" استنادا" لقول رسول الرحمة (ص) : ((لا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا")) (٧٩).

فحق اللسان يتمثل بستر عيوب الصاحب ظاهرها وباطنها وهذا امر يجب على الانسان التزامه لانه من الضروري ان يأخذ بعين الاعتبار ان الله مع عظمته جلالته يستر قبيح عباده ويظهر جميلهم رحمة بهم ، فعليه اذن ان لايتجاوز على من هو مثله او فوقه ، فعلى الانسان ان يدرك ذلك ويستر عيوب الناس وعليه ايضا" ان لايظهر قبائح الاخرين عندما يغضب عليهم ، ناهيك عن ضرورة ترك طلب الانصاف من الاخرين اكثر مما تسمح به نفسه بل على الصاحب ان يكون منصفا" مع صاحبه حيث ورد في القرآن الكريم قوله تعالى : ((ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون)) (٨٠) .

اما عدم ستر عورة الآخرين والسعي في كشفها فمرده عند الغزالي ، مرض باطني يتمثل بالحسد والحقد فالانسان الحسود والحقود يملاء بالخبث ولكنه يحبسه في باطنه ويخفيه ولكنه اذا وجد مجالا" او فرصة سينحل عنه ذلك ويرتفع الحياء ويترشح الباطن بالحقد الدفين لذا فمقاطعة اناس هؤلاء اولى . وكي يحافظ الفرد على اصحابه عليه تجنب الاسباب التي تثير نار الحقد كالمماراة والمنافسة اللتين تؤديان الى التقاطع والتدابر حيث يكون التقاطع اولا" بالاراء ثم بالاقوال ثم بالابدان ، فكثرة المماراة توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة ، وبواعث الممارة سببها اظهار التمييز على الاخرين ، اما بزيادة العقل او الفضل وهذا يشمل التكبر والاحتقار والايذاء والشتم بالحمق والجهل وكل هذه الامور تؤدي الى العداوه (٨١) .

٤ــ حق اللسان بالنطق بذكر محاسن الصاحب والنطق بمواطن المحبوبات عنده ، والتودد له باللسان وتفقد احواله كالسؤال عن عارض اصابه مع اظهار شغل القلب بذلك الامر وما يلحقه في بعض الاحيان من استبطاء العافية . فضلا" عن ضرورة اظهار الفرح

باللسان للمشاركة في مسرات الصاحب . ويدخل ضمن حق اللسان بالنطق ايضا" ان على الصاحب ان يظهر بلسانه وافعاله كراهة الاشياء التي يكرهها صاحبه مع اظهار حبه لما يحب كالثناء على اولاده واهله وصنعته وفعله وعقله وخلقه .... الخ من المسائل التي تفرحه شريطة ان لايكون ذلك المدح من باب المجاملة او الكذب او الافراط ، بل تحسين ما يقبل التحسين فقط ، ويدخل ضمن ذلك اخباره بما قاله الاخرون حوله من ثناء مع اظهار الفرح بذلك .

ويدخل ضمن حق اللسان عدة مواضيع هي :

ـ على الانسان اذا احب صاحبه ان يخبره بذلك ، اقتداء" بقول الرسول محمد (ص) :((إذا أحبّ أحدكم أخاه فليخبره)) (٨٢) لانه الأخبار يوجب زيادة الحب ، فإذا عرف الصاحب ذلك فانه يحب لامحاله من اخبره ، ولا يزال الحب يتزايد بين الطرفين ، والمحبة بين المؤمنين مطلوبة شرعا" ودينا" .

ـ على الإنسان ان يدعو صاحبه بأحب أسمائه في حضوره وغيبته ، والدفاع عن الصاحب عند غيبته في حال سماع كلام فيه اسائه له اما تصريحا" او تعريضا" فالتشمير في الحماية والنصرة امر واجب ، والسكوت عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير في حق الاخوه ناهيك عن كونه امرا" منهيا" عنه شرعا" ، فعلى الصاحب التزام الاخلاص ، الذي يتمثل باستواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية في الجماعة والخلوة والاختلاق . واي عمل بخلاف ذلك مماذقة في المودة ودخل في الدين ووليجة في طريق المؤمنين ، ومن لا يقدر على ذلك من نفسه فالانقطاع عنه اولى لان حق الصحبه ثقيل لايطيقه كل انسان (٨٣) .

ـ ضرورة النصيحة للاخوان والاسهام بتعليمهم ، فحاجة الصديق للعلم ليست بأقل من حاجته الى المال ، ومن كان له غنى عليه ارشاد اخوانه بكل ما ينفعهم في الدين والدنيا . فمن كان له علم ومال عليه اعانة اخوانه من طلاب العلم بذلك ، وان كان له علم وليس له مال فعليه مساعدتهم بعلمه خصوصا" الذين يجمعون بين العلم والعمل ويلازمون طريق التقوى الذين استعدت فطنتهم لكمال العلم واستجابت فطرتهم لقبول التقوى فهؤلاء يجب اعانتهم بقطع العوائق التي تمنعهم من استكمال العلم لذا ، يجب ازالتها كي يصلوا الى ذروة الكمال الذي تعود ثمرته على الجميع في الدين والدنيا (٨٤) .

فمساعدة طالب العلم ضرورية جدا" لانهم اذا اصبحوا علماء ، فان العالم يوم القيامة سيشفع باذن الله لمن قضي له حاجة او أطعمه لقمة حين جاع ، او سقاه شربه من ماء حين عطش(٨٥).

والحقيقة التي لابد من ذكرها هي ان الغزالي وان اكد ضرورة عدم البخل في منح العلم للاخوان الا انه لا يعني كلهم بل المستحق لذلك ، وهذا لايشمل كل العلوم ايضا" ، بل اكد ان بعض العلوم يجب ان لا تعطي الا لمستحقيها ففي كتاب معارج القدس قال: ((... وقد كشف الغطاء عن وجوه الاسرار المخزونة ورفعت الحجاب عن كنوز العلوم ودللت على الاسرار المخزونة وابديت فيه العلوم المكنونة المضنون بها تقربا" الى الإخوان الذين لهم قوة القريحة وصفاء الذهن وذكاء النفس ونقاء الحدس .... ثم اني حرمت على جميع من يقرؤه من الإخوان الذين لهم المناسبة العلوية والقريحة الصافية ان يبذله لنفس شريرة او معاندة او يطلعها عليه او يضعه في غير موضعه ....)) (٨٦) .

وفي حالة اعطاء الاصحاب بعض العلوم ولكنهم لم يعلموا بمقتضاها فالحل الناجح من وجهة نظر ابي حامد ، هو النصيحة عن طريق ذكر أفات ذلك الفعل وفوائد تركه وتخويفهم بما يكرهون في الدنيا والآخرة ، والتنبيه على عيوبهم فيقبح القبيح ويحسن الحسن شريطة ان تكون النصيحة سرا" دون العلانية فلو كانت علنيه لاصبحت مداهنة وتوبيخ وفضيحة ، فالمؤمن يجب ان يكون مرآة لاخيه المؤمن يشاهد من خلاله عيوبه الظاهرة كما يشاهد في المرآة . فمداراة الاخوان اولى في نصحهم سرا" وعندها تكون النصيحة لغرض سلامة في الدين ، بخلاف المداهنة التي يكون الهدف دنيوي فيها ، وعلى المؤمن الاقتداء بحكمة الله عندما يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه في ظل ستره ، فيوقفه على ذنوبه سرا" ، وقد يدفع كتاب عمله مختوما" إلى الملائكة الذين يحفون به إلى الجنة وعندما يقاربوها يعطونه كتابه ليقرأه (٨٧).

ونود ان نختم موضوع النصيحة بسؤال مهم نريد معرفة جواب الغزالي عليه وهو . اذا كان في نصح الاخرين ذكر لعيوبهم ، اليس في ذلك ايحاش لقلوبهم ؟ وهل يجوز الايحاش في حق الصحبة ؟

كان الجواب ان الايحاش يحصل عند ذكر عيب يعلمه الصاحب من نفسه ، اما تنبيهه على ما لايعلمه فذلك عين الشفقة وفيه استمالة لقلوب العقلاء . اما الحمقى هم الذين يكرهون ذلك ، ومثلهم كالذي همت باهلاكه حية او عقرب تحت ذيله وعندما نبه لذلك

كره من نبهه ، فالصفات الذميمة تمثل حيات وعقارب وهي في الاخرة مهلكات تلدغ القلوب والأرواح وألمها اشد مما يلدغ الاجساد والظواهر ، وهي مخلوقة من نار الله الموقدة .

اما اذا كان للصديق عيب يعلمه ويظهره فمن واجب الاخوة التلطف في النصح بالتعريض مرة وبالتصريح اخرى الى حد لايؤدي الى الايحاش وفي حالة اليأس من اصلاحه وانه مضطر من طبعه على الإصرار ففي هذه الحالة السكوت اولى (٨٨) .

٥ــ العفو عن زلات الاخوان وهفواتهم . وتتمثل هذه الزلات والهفوات اما في امور الدين كارتكاب المعصية او في امور الدنيا أي بحق الصديق . فاما التي في الدين الواجب نصيحتهم واللجوء الى التلطف عندما يصروا على المعصية لغرض اصلاحهم . ووضح ابو حامد ان اصرار الانسان على المعصية اختلف الصحابة حول فمثلا" كان رأي ابو ذر (رض) انه اذا انقلب اخوك عما كان عليه فابغضه من حيث احببته ، وذلك من مقتضى الحب في الله وكان راي ابو الدراء (رض) هو ، اذا تغير اخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لاجل ذلك فانه يعوج مرة ويسقيم أخرى . وكان الغزالي قد عدّ ، طريقة ابو الدراء وجماعته الطف وافقه من طريقه ابي ذر ، وان كانت عنده احسن واسلم . وعلل ذلك . اما كونها الطف فلما فيها من الرفق والاستمالة والتعطف المفضي الى الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصحبة ، ومهما قوطع وانقطع طمعه عن صاحبه اصر واستمر .اما كونه افقه حيث ان للخوه عقد ينزل منزلة القرابة ، فاذا انعقدت تاكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ومن الوفاء للصديق ان لايترك في ايام حاجته وفقره، ففقره للدين اشد من فقرة للمال لذا من الضروري اعانته حتى يتخلص من الوقعة التي المت به ولحمه الصداقة كلمحة النسب فمثلما لا يهجر القريب بالمعصية فالصديق كذلك . فضلا" عن ذلك فان الفاجر قد يستفيد من مصاحبة التقي حيث يتاثر به فعند النظر الى حالة سيستحي مما هو فيه .

وحقيقة اخرى اكد عليها الغزالي هي ان الصاحب اذا ارتكب معصية يجب ان لا نبغضه هو بل نبغض عمله لانه اخ في الدين وهنا الرأي استمده من قوله تعالى :((فإن عصوك فقل اني بريء مما تعملون)) (٨٩) اشارة الى عشيرة الرسول (ص) فالبراءة وقعت على اعمالهم وليس منهم مراعاة لحقوق القرابة ولحمة النسب .

وفي نهاية المطاف وضح ابو حامد انه مثلما لاتجوز مصادقة الفاسق ابتداء فانه لاتجوز مقاطعته عند خطئه انتهاء لانه كان صاحبا" ومن حقوق الصحبة عدم التخلي عنهم . واما الزلات والهفوات الدنيوية فالعفو والاحتمال أولى ، بل السعي في استنباط الاعذار لاخطائهم وانزالها على وجه حسن ، وتصور تمهيد عذر قريب او بعيد . وقد قيل استنبط لزلة اخيك سبعين عذرا" فان لم يقبله قلبك فعليك رد اللوم على نفسك . بل على الانسان ان يقبل اعتذار اصحابه سواء كان عذرهم كاذبا" او صادقا" .

ونبه حجة الاسلام الغزالي على انه لا يطالب الانسان ترك الغضب على ما يفعله الآخرين لأن الغضب مسألة لا يمكن قلعها من الانسان ، بل ما يريده هو كظم الغيظ وضبطه والعمل بخلاف مقتضاه ، ويتم ذلك بترك التشفي والانتقام والمكافأه ، وهذا امر ممكن على الرغم من ان لغضب طبع للقلب مثلما التألم بالجرح مقتضى طبع البدن . فهو اكد ضرورة عدم التحامل على الآخرين إذا زلوا بحق بعضهم البعض ، بل يجب تحملهم ومعاقبتهم ، اما في حالة استمرار اذيتهم وعدم نفع العتاب معهم فمقاطعتهم امر لا بأس به (٩٠) .

٦ــ الدعاء للاخ في حياته وبعد مماته : في هذا الحق يجب ان يدعو الانسان لصاحبه في الدنيا مثلما يدعو لنفسه بحيث لايفرق بينه وبين نفسه سواء كان صاحبه حيا" او ميتا" ، فالدعاء له واجب ، والانسان محتاج اليه في كل الاحوال ودعاء الانسان لغيره هو دعاء لنفسه على التحقيق ، قال الرسول محمد (ص) : ((إذا دعا الرجل لاخيه في ظهر الغيب قال الملك ، ولك مثل ذلك)) (٩١) .

٧ــ الوفاء والأخلاص : ــ الوفاء يعني الثبات على الحب وادامته الى الموت مع الصاحب وبعد الموت مع اولاده واصدقائه ، فالحي انما يراد للآخره فإذا انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي والله تعالى يظل في ظله الرجلين اللذين تحابا فيه واجتمعا على ذلك وتفرقا عليه .

ومراعاة صديق الصديق واقاربه المتعلقين به اوقع في قلب الصديق كما يرى الغزالي من مراعاة الصديق نفسه لان فرحه يزداد في حال تفقد كل ما يتعلق به . ومن الوفاء والاخلاص ان لا يتحاسد الاصدقاء على دين او دنيا بل يجب ان يعتبر الانسان مالأخيه اليه ترجع فائدته . ومن الوفاء ان لا يتغير الصديق عن صديقه في حالة تبدل احواله وارتفاع شأنه وعظم جاهه واتساع ولايته ، والترفع عن الاخوان بسبب ذلك لؤم ومسألة

مرفوضة ، ولكن هذا لا يعني موافقة الإخوان فيما يخالف الدين بل من الوفاء المخالفة . اما في حالة عدم ذلك فمن الواجب عدم انقطاع الوفاء ، لان فيه فرحة للشيطان حيث يشمت في هكذا عمل فهو لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد متواخين في الله ومتحابين فيه ، فهو يجهد نفسه لافساد ما بينهما (٩٢) .

ومن الوفاء للصديق ايضا" ان لايسمع بلا غات الناس على صديقة لاسيما من يظهر اولا" انه محب كيلا يتهم ثم يلقي الكلام عرضا" وينقل عن الصاحب ما يوغر القلب ، وذلك من دقائق الحيل في التغريب ومن لم يحترز منه لم تدم مودته اصلا" . ومن الوفاء ايضا" ان لا يصادق الانسان عدو صديقه .

٨ ــ التخفيف وترك التكلف والتكليف : ــ اكد الغزالي هنا ان على الصديق ان لا يكلف صديقه ما يشق عليه بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرفه عن اعبائه فلا يستمد منه من جاه ومال ، ولا يكلفه التواضع له والتفقد لاحواله والقيام بحقوقه ، بل يجب ان لا يقصد بمحبته الا الله تعالى تبركا" بدعائه واستئناسا" بلقائه واستعانه به على دينه وتقربا" الى الله بحقوقه وتحمل مؤنته .

ومن خلال كلام ابي حامد الموسع حول هذا الموضوع ومن خلال الحكم الكثيرة للحكماء والعارفين التي استشهد بها الغزالي نستنتج مايلي .

أ ــ ان الانسان يجب ان لايجعل من نفسه عند الاخوان منزلة فوق قدره ، فانه يأثم ويأثمون هم ايضا" ، ومن جعل نفسه في قدره تعب واتعبهم ، ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا ، وتمام التحقيق بطي بساط التكليف حتى لا يستحي منه فيما لا يستحي من نفسه .

ب ــ في التكلف والتكليف شر حيث ورد عن الإمام على (ع) : ((شر الاصدقاء من تكلف لك ومن احوجك الى مداراة والجأك الى اعتذار)) وقال الفضيل : ((انما تقاطع الناس بالتكليف يزور احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعة ذلك عنه)) وقالت عائشة (رض) : ((المؤمن اخو المؤمن لا يغتنمه ولا يحتشمه)) (٩٣) .

جـ ــ أن في التكلف ثقل وتقييد للمتحابين وكمثال على ذلك قول الإمام الصادق (ع) : ((اثقل أخواني على من يتكلف لي واحتفظ منه ، وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي)) (٩٤) .

د ــ موضوع ترك التكلف والتكليف ينطبق اكثر ما ينطبق على صحبة العــارفين حيــث تتميز صحبتهم بالتواضع في التعامل وترك التكلف ، فالإنسان يكون مع أبناء الدنيا بالأدب ومع أبناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف يشاء .

هــ ــ إن الإنسان إذا أراد ان يكثر أصحابه عليه أن لا يثقل على الآخرين في طلباتــه ، وكلما طلب من أصحابه أن يكفونه مؤنة نفسه ويتحملون أذاه ازدادت نفرة الآخرين عنــه بل عليه أن يتحمل هو ذلك خصوصا" إذا كانت صحبته في الله .

وناقش الغزالي هنا ان صحبة الرجال تقسم ثلاثة أقسام . قسم تنتفع بصحبته، ورجل تقدر على أن تنفعه ولا تتضرر به ولكن لاتنتفع به، ورجل لا تقدر على ان تنفعه وتتضرر به وهو الأحمق أو سيء الخلق وهذا يجب تجنبه .

وادخل ضمن موضوع ترك التكلف والتكليف عدة مسائل أخرى ، كضرورة التعاون بين الأصدقاء والنظر بعين المساواة والكمال في رؤية الفضل للأخ وانه مهمــا رأى الفــضل لنفسه فقد احتقر صاحبه وهذا العمل مذموم في المنظور الإسلامي ، ووضح أيضا" ان من تتممة الانبساط وترك التكلف ان يشاور الإنسان إخوانه في كل مــا يقــصد مــع قبــول مشورتهم مع عدم إخفاء أسراره منهم وتجنب مفارقتهم (٩٥) .

وقبل ختم موضوع حقوق الصحبة سنذكر الالتفاته الطريفة التي أشار لها أبي حامد فــي كلامه حول حقوق الصحبة وهي انه جعل للجوارح حقوق يجب مراعاتها ابتدئها بالصبر وختمها بالقدمين . فكانت حقوق البصر في ضرورة النظر للصاحب نظرة مودة يعرفهــا منه فضلا" عن النظر إلى محاسنه ، وغظ النظر عن عيوبه. ولا يجوز صرف النظر في وقت إقبال الصاحب أو في حال كلامه . وكانت حقوق السمع هي سمع كلام الصاحب مع اللذة فيه والاستبشار له ناهيك عن تصديقه ، وعن حقوق السماع أيضا" أن لا يقطع حديث الصاحب بمراده ولا منازعة ومداخلة واعتراض ، وفي حال ظهــور عــارض أرهــق الإنسان عليه الاعتذار مع حرس السمع عن سماع ما يكره . وتتمثل حقوق اللــسان فــي ترك رفع الصوت بوجه الآخرين وان لا نحدثهم إلا بما يفهمون . أما حق اليدان هو ان لا تقبضان عن معاونة الصاحب في كل ما يعطى باليد . أما عن القدمين فحقوقها ، المــشي وراء الصاحب مشي الاتباع لا المتبوعين . وان لا يتقدم الشخص على أصحابه إلا بمقدار ما يقدمونه ، كما يجب أن لا يقرب منهم إلا بمقدار ما يقربونه ، وان يقوم لهم إذا اقبلــوا ولا يقعد إلا بقعودهم مع التواضع في القعود .

ولكنه وضح ان هذه المسائل تخف كلما كانت الصحبة أوكد ، فالغزالي يرى ان الاتحـــاد عند ما يتم بين الأصحاب ستخف جملة من هذه الحقوق مثل القيام والاعتـــذار والثنـــاء ، وهذه الأمور وان كانت من حقوق الصحبة ، فان فيها نوعا" من الأجنبية والتكلف لـــذا إذا تم الاتحاد بشكل كامل فان بساط التكلف والتكليف سينطوي بالكلية لان الصحبة هنا تقـــوم على صفاء القلب والاستقامة ظاهرا" وباطنا" .

وبين الغزالي أن الإنسان الذي يريد القيام بهذه الحقوق ويطالب غيره الالتزام بها هو الذي ينظر في صحبته للخلق ، وهكذا شخص يعوج تارة ويستقيم تارة أخرى . أما الذي ينظر للخالق فلا يطالب بذلك لانه زين باطنة بالحب لله تعالى ، كما زين ظـــاهرة بالعبـــادة لله والخدمة لعباده ، وهذه أعلى أنواع المحبة التي لا يمكن الوصول لها وإلا بحسن الخلـــق الذي يجعل الإنسان يدرك درجة الصائم القائم وزيادة (٩٦) .

من خلال ما ذكره أبي حامد نستدل انه تكلم عن مستويين من الصداقة ، صـــداقة يؤكـــد ذويها على مراعاة الرسميات ، وأخرى تدعوا إلى ترك التكلف لان الصديق ينظر لصديقه وكأنه نفسه ، وليس بين الإنسان ونفسه من تكلف ، وهنا ينطبق على صـــحبة العـــارفين بالله الذين لا يفرقون بين اموالهم واموال اصحابهم بحيث يأخذ كل منهم من مال اخيـــه بقدر ما يحتاج اليه دون ان يسأله لانه يعلم فرحة صاحبه بذلك .

وبعد ان تكلمنا عن موقف ابي حامد من الصحبة فسوف ننتقل الى موضوع مهم يتعلـــق بالصحبة وهو المعاشرة والعزلة كي تكتمل دراستنا لموضوع الصحبة .

رابعا" : ــ المعاشرة والعزلة

ان موضوعي المعاشرة والعزلة عند الإمام الغزالي يتسمان بالغموض ولا يمكـــن مـــن الوهلة الاولى تحديد ميل الغزالي لاحدهما ، فهو يؤكد دور المعاشرة تارة ويثنـــي علـــى دورالعزلة طورا" ويعود فيتكلم عن افات العزلة تارة اخرى والتي عنى بها فوائد العشرة ، وكي نعطي هذين الموضوعين حقهما فانا سنوضح موقف الغزالي منهما ، ومن ثم نوضح وجهة نظرنا التي نستدلها من كلام ابي حامد نفسه مبتدئين بآداب المعاشرة .

١ــ آداب المعاشرة :ــ

وتتمثل بجملة من الاعمال التي يجب على الفرد القيام بها كي ينال الصحبة ، وجملة مـــن الصفات الأخلاقية التي ينبغي على الانسان التحلي بها ليكون حسن المعاشرة . فأكـــد ان

على الإنسان ملاقاة صديقه وعدوه بوجه الرضا من غير ذله لهم ولاهيبة منهم بل يجب التزام التوقير من غير كبر ، والتواضع في غير مذلة ، بل عليه التوسط في جميع أموره وكلا طرفي قصد الأمور ذميم ، وعليه أيضا" اذا كان مع الآخرين ان لا يكثر الالتفات في عطفية ، وان لايقف عند الجماعات ، وعليه إذا أراد الجلوس ان لايستوفز مع التحفظ من تشبيك الأصابع والعبث باللحية مثلا" او الخاتم وغيره . ومن شروط حسن المعاشرة ايضا" تجنب الأعمال التي لا تجعله مقبولا" عند الآخرين كتخليل الإنسان أو إدخال الإصبع في الأنف والبصاق وغيره بل حتى ترك طرد الذباب عن الوجه ان وجد ، ناهيك عن ترك كثرة التمطي والتثأوب في وجوه الآخرين وعلى من أراد ان يكون حسن المعاشرة ان يكون هادئا" في مجلسه ، منظوما" مرتبا" في حديثه صاغيا" للكلام الحسن ممن يحدثه من غير اظهار تعجب مفرط ، وان لا يسأله اعادة ما تكلم به ، فضلا" عن التزام السكوت عن المضاحك والحكايات ، مع ضرورة ترك حديث الانسان عن اعجابه بولده وغيره فضلا" عن تجنب مدح اعماله امام الاخرين وعليه ايضا" ان لا يتضع تضع المرأة في التزيين ، ولا يتبذل تبذل العبد وان يتوفى كثرة المجملات من دهن ونحوه ، مع الابتعاد عن الالحاح في حاجاته وان لا يشجع أحدا" على الظلم . واذا خاصم فعليه بالتحفظ من جهله وتجنب العجله مع ضرورة التفكر في الحجة ، وترك الإشارة باليدين واللتفات الى ما ورائه ، وان لا يجث على ركبتيه ولايتكلم حتى يهدأ غيضه .

ومن اراد ان تحسن معاشرته عند اصحابه فواجب عليه ان لايجعل ماله اكرم عليه من عرضه ، وان يتحاشا الجلوس على الطريق واذا فعل ذلك فهو ملزم بمراعاة حقوق الجلوس كغض البصر ونصرة المظلوم واغاثة الملهوف وارشاد الضال ، ورد السلام . واعطاء السائل والالتزام بالمعروف والنهي عن المنكر .

ومن دواعي حسن المعاشرة للانسان انه اذا دخل مجلسا" ان يبدأ بالتسليم وترك التخطي لمن سبق ، والجلوس حيث اتسع حيث يكون اقرب للتواضع ، وان يحييه بالسلام من قرب منه عند الجلوس . وفي حال مجالسة لعامة فمن الضروري تجنب الخوض في كلامهم مع قلة الاصغاء الى اراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء الفاظهم والتقليل من لقائهم .

ومن آداب المعاشرة ايضا" تجنب المزاح مع الآخرين سواء أكان مع اللبيب او الفاسق ، فكلا الأمرين مضر لانه يجعل اللبيب يحقد والسفيه يجترئ ، فالمزاح يخرق الهيبة ويسقط ماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الود ، ويسقط المنزلة عند الحكيم ويمقته

المتقون ، يميت القلب ويباعد عن الرب ، يكسب الغفله ويورث الذله ، به تظلم السرائر وتموت الخواطر ، به تكثر العيوب وتبين الذنوب وهو مرفوض لكل هذه الاسباب ومرده اما من سخف او بطر (٩٧) .

فالغزالي نهى عن المزاح لان فيه اضرار دينية واجتماعية ونفسية واكد ان على من ابتلي بمجلس فيه مزاح او لغط ان يقول عند قيامه : ((سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله إلا أنت استغفرك وأتوب اليك)) اقتداءً بالرسول الكريم (ص) (٩٨) .

ومن آداب حسن المعاشرة ان لايستصغر الانسان احدا" من اصحابه فهذا يتنافى مع المعاشرة الطيبة فضلا" عن ذلك فان الانسان لايدري لعل الذين استصغرهم خير منه ، ربما استصغر فاسقا" وتصبح خاتمته مثله او ربما تكون خاتمة هذا الفاسق الصلاح ، ومثلما لا يصلح تصغير الآخرين فانه لايجوز تعظيمهم في حال دنياهم ، لان الدنيا صغيره عند الله ، صغير ما فيها هذا من جانب ، ومن جانب آخر فان تعظيم الآخرين لغرض دنياهم يؤدي الى تعظيم الدنيا وهذا يعني تبديل ما هو خير بالذي ادنى فعلى الانسان ان لايبذل دينه للغير لغرض النيل من دنياهم . مع ضرورة تجنب العداوة وتحاشي اظهارها لان فيها ذهاب الدين والدنيا ، وان وجدت فالواجب ان تكون معاداة لاعمالهم لا للأشخاص انفسهم ، لأن من الأولى النظر للناس بعين الرحمة والشفقة خصوصا"مع من له مودة وثناء وحسن بشر (٩٩) .

ولكي يصبح الانسان مقبولا" عند الاخرين عليه ان لا يشكو احواله لهم ، مع ترك الطمع مما في ايديهم ففي ذلك استعجال للذل وربما لا ينال ما يريده على الرغم من ذله ، ومثلما لايحق له بذل نفسه للاخرين فانه لايجوز له التكبر عليهم على اساس انه مستغن عنهم ، فربما يلجأ الله تعالى من يعمل ذلك اليهم عقوبة على تكبره . ومن اجل راحته ان لايطمع في الاخرين ان يكونوا له في الغيب والسر كما في العلانية فذلك طمع كاذب ، فضلا" عن تجنب معاتبة الصاحب عند تكليفه بحاجه ولم يقظها فربما تصير المعاتبة عداوه ناهيك عن التجاوز عن وعظ من لا يرى عنده مخايل القبول وشخص من هذا النوع لايسمع الوعظ بل يعادي من وعظه .

وعلى من رغب بالعشرة الحسنة ان لايقول لاصحابه لم تعرفوا موضعي ، وعلق الغزالي على ذلك موضحا"انه لو كان يستحق ذلك لجعل الله له وضعا" في قلوبهم ، فالله هو المحبب والمبغض الى القلوب .

وفي نهاية حقوق المعاشرة نجد حجة الاسلام الغزالي يؤكد ان على الانسان الحذر من صحبته اكثر الناس وعلل ذلك بكلام طويل بين فيه ان اكثر الناس لايقيلون عثرة ولا يغفرون زلة ولا يسترون عوره ولا ينصفون ، يحاسبون على النقير والقطمير يحسدون على القليل والكثير ، ينتصفون ولاينصفون ، يؤاخذون على الخطأ والنسيان ولا يعفون ، يغرون الاخوان بالنميمة والبهتان ، لذا فصحبة اكثرهم خسران وأناس من هذا الشكل صعب التعامل معهم ومعرفتهم ، لانهم ان رضوا ظاهرهم الملق ، وان سخطو باطنهم الحنق ، فظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يحصون العثرات للصاحب كي يواجهوه بها عند غضبهم ووحشتهم لذا فمن أراد أن تحسن معاشرته مع صاحبه ان يختبره حق الخبرة حيث يرافقه مدة في موضع معين ويجربه في عزلته وولايته وفقره او غناه ، أو يلجأ للسفر معه او يعامله في الدينار والدرهم ، او يجربه في حال وقوعه في شده ، فإذا كان الصاحب مرضيا" في كل هذه الأحوال فهو جدير بالصحبه ، ان كان كبيرا" فيستحق اتخاذه بمثابة الأب وان كان مساوٍ في العمر يتخذ أخا" وابنا"، ان كان اصغر (١٠٠) .

وهكذا قدم الغزالي آداب حسن المعاشرة بأسلوب أدبي شيق جمع فيه قيما" أخلاقية واجتماعية وسايكلوجية بحيث جعل من الهدف الشرعي المحور الرئيس الذي تدور حوله كل هذه الجوانب ، حيث أكد أن الإنسان عندما يلتزم هذه الآداب سيحضى بصداقات واسعة ، ستجعل منه خفيف المؤنة ثقيل المعونة وعندها ينجذب الآخرين إليه محبة ورغبة

٢ــ العزلة وأهميتها . أكد الغزالي في اكثر من موضوع في حديثه عن الصحبة على ان الإنسان إذا لم يجد من يستحق الصداقة فالعزلة اولى ، فهو بلا شك جعل للعزلة أهميتها مثلما أكد للمعاشرة أهميتها ، حيث جعل للعزلة فوائد دينية واخرى دنيوية .

تقسم الدينية الى ما يمكن من تحصيل للطاعات في الخلوة والمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم . والى التخلص من ارتكاب المناهي التي يتعرض لها الانسان بالمخالطة ، كالرياء والغيبة ، والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق الرديئة والامال الخبيثة من جلساء السوء .

الدنيوية . وتقسم الى مايمكن من التحصيل في الخلوه ، كتمكن المحترف من خلوته الى ما يخلص من محذورات يتعرض لها بالمخالطة كالنظر الى زهرة الدنيا واقبال الخلق عليها ، وطمعه في الناس فيه ، فضلا" عن انكشاف ستر مروءته بالمخالطة والتأذي بسوء خلق

الجليس في مرائه او سوء ظنه او نميمته او محاسدته او التأذي بثقله وتشوية خلقته والى هذا ترجع مجامع فوائد العزلة التي حددها بسته ربط فيها الدينية بالدنيوية وهي : ــ

أ ــ التفرغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلــق والاشــتغال باستكشاف اسرار الله في الدنيا والاخرة ، وملكوت السماوات والارض ، وهذه المــسائل تستدعي فراغا" وهذا لايتم الا بالعزله (١٠١) .

وخير شاهد على ذلك قول الغزالي في قصيدته التائية .

توحشت من ابناء نوعي ولم يكن لشيء سوى انسي بقرك ووحشتي
تغربت عن اهلي اليك واننـــــي ليعذب لي في طيب انسك غربتــي
فكم خلوة قد فزت فيها بجلـــوة خرجت بها عني اليك بفرحـــــة
وطلقت فيها عالم الحس بتـــة لتعلم اني لا اقول برجعـــــــة
وفارقت اوطاني واهلي وجيرتــي لتعلم اني باذل فيك مهجتـــــي(١٠٢)

ب ــ التخلص من المعاصي التي يتعرض لها الإنسان بالمخالطة كالغيبة والنميمة .... الخ من المعاصي التي ذكرناها سابقا" في فوائد العزلة دينيا" (١٠٣) .

جـ ــ الخلاص من الفتن والخصومات ، وصيانة الدين والــنفس مــن الخــوض فيهــا والتعرض لأخطارها ، وقلما تخلو البلاد من تعصبات وفتن وخصومات ، والمعتزل عنهم في سلامه منها (١٠٤) .

د ــ الخلاص من شر الناس الذين يؤذون معاشرهم في بعض الاحيان بالغيبة مره وبسوء الظن أخرى ناهيك عن الاتهام بالاقتراحات والاطماع الكاذبة التي يعسر الوفــاء بهــا ، فضلا" عن النميمة او الكذب لان بعضهم يرون من الانسان عملا" او قولا" لايبلغ عقولهم كنهه فيدخرون ذلك عندهم كي يظهرونه بوقت تظهر فيه فرصة للــشر (١٠٥). وهــذه الفكرة سبق ان بيناها .

هــ – تسهم العزلة في جعل الانسان يقطع طمعه في الاخرين ، اضافة الى قطع طمــع الناس فيه ، لانه عند قطع طمعه من الاخرين سينشغل في اصلاح نفسه وهذا اولى واهم ، واما فائدة انقطاع طمع الآخرين فيه مرده ان رضا الناس غاية لا تدرك ، فلإنسان مــثلا" اذا عاد مريضا" معينا" من اصدقائه ولم يعد الاخر بسبب ظرف طــارئ مــثلا" فهــولاء لايقبلون المعاذير ، وليس كل الاعذار ممكن اظهارها وبناء على ذلك يعتبرونه قام بحــق

فلان وقصر بحقهم ، فالعزلة تخلصه من ذلك لانها تجعل الانسان يعمم الناس كلهم وسيرضون عنه كلهم كما يرى الغزالي .

و- للعزلة دور كبير في تخليص صاحبها من العمى الاصغر المتمثل بمشاهدة الحمقى والثقلاء ومقاساة حمقهم واخلاقهم (١٠٦).

من خلال ما سبق يتضح لنا مدى الاهمية التي منحها ابو حامد للعزلة وبعد ان بيّناها بشكل موجز فانا سنعول على الموضوع الاخر وهو افات العزلة والتي اعطاها الاهمية ايضا" ومثلما وضع للعزلة فوائد دينية واخرى دنيوية نجده يعلن بان العزلة ستمنع الانسان من الحصول على فوائد دينية واخرى دنيوية لان هكذا فوائد لاتنال الا بالمعاشرة فآفات العزلة تعني عنده فوائد المعاشرة .

٣- افات العزلة وحددها بسبعة

١- إنها ستحرم الإنسان من افادة التعلم والتعليم والذي يعد من أعظم العبادات في الدنيا وهنا يبيّن عدة افكار هي ان بعض العلوم ضروري تحصيلها في الدنيا ، فالمحتاج الى التعلم لما هو فرض عليه ، عاص بالعزلة ، وان تعلم الفرض وكان لايتاتى منه الخوض في العلوم ورأى الاشتغال بالعبادة عندها يحق له العزلة ، وان كان يقدر على التبرز في علوم الشرع والعقل فالعزلة في حقه غاية الخسران (١٠٧) .

٢- الانتفاع والنفع . ستمنع العزلة صاحبها من الانتفاع بالناس في الكسب والمعاملة بالنسبة للمحتاج الى ذلك وعلى الانسان هنا اذا كان في عزلة ان يقطعها اذا كان يطلب موافقة الشرع ويتحمل المخالطة وهذا ينطبق على من كان يريد الاستمرار في الكسب لغرض الصداقة فترك العزلة اولى . اما من كان له المال ويريد العزلة خصوصا" اذا اتقن علوم الشرع مع التحقق في معرفة الله تعالى والتجرد بها لذكر الله أي بمناجاته تعالى عن كشف وبصيرة ، لاعن اوهام وخيالات (١٠٨)

٣- التأدب والتأديب : حيث تحول العزلة دون نيل فائدة التأدب المتمثلة بالارتياض في مقاساة الناس والمجاهدة في تحمل أذاهم كسرا" للنفس وقهرا" للشهوة وهذه افضل من العزلة في حق من لم تتهذب اخلاقه ولم تذعن لحدود الشرع شهواته. اما التأديب فهو ترويض غيره أي المحتاجين ذلك وعندها فالعزلة تحجب عن تحقيق هذه الفائدة .

٤- الاستئناس والإيناس : تكون العزلة عقبة بوجه تحقيق الأنس بمعاشرة الاخرين والترويح عن القلب في الحالات المباحة شرعا" ، وتستحب لذلك لان الانس هنا

يحصل لغرض الاستفادة من اقوال الاخرين واحوالهم في الدين كالانس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى .كذلك فالانس يروح القلب ويهيج دواعي النشاط في العبادة ، لان القلوب اذا اكرهت عميت ، والنفس لاتالف الحق على الدوام مالم تروح ، وفي تكليفها الملازمة داعية للفترة ، فالعزلة هنا تحرم الانسان من كل هذه الاشياء . فضلا" عن ذلك فالانسان لايستغني عن رفيق يستأنس بمشاهدته ومحادثته في اليوم والليلة ساعة ، على ان تكون تلك المحادثة في امور الدين وحكاية احوال القلب مع التعبير عن شكواه او قصوره عن الثبات على الحق ان كان فعلا" يواجه ذلك والاهتداء الى الرشد (١٠٩).

٥- تسهم العزلة في الحيلولة دون فائدة نيل الثواب وانالته واللتان لاتحصلان الا بالمعاشرة ، فنيل الثواب يتم من خلال مواصلة الاخرين وحضور مناسباتهم كتشييع الجنائز وعيادة المرضى وحضور العيدين وصلاة الجمعة والجماعة وحضور الاملاكات والدعوات التي فيها ادخال السرور على قلب المسلم ، وانالة الثواب التي تعني فتح الانسان للاخرين مجالا" ليحضروا مناسباته ليكون سببا" في انالتهم ثواب هذه الاعمال ، وهذا ينطبق على العلماء عندما يسمحون بزيارتهم ايضا" .

٦- تكون العزلة حجر عثرة في طريق فائدة جليلة لاتنال الا بالمخالطة وهي التواضع الذي يعد من افضل المقامات ، لان العزلة في بعض الحالات يلجأ لها الانسان من باب الكبر ، وهذا دائب من مكان في عزلته غير مشغول مع نفسه بذكر الله ، بل كان هدفه اعتزال الناس وحسب بسبب اشتغاله بهم وكل مبتغاه هو ان ينظروا له بعين الوقار والاحترام ، وعلى نحو مشابه تظهر هذه الحالة عند بعض من عرف عنه الزهد والاشتغال في العبادة فيعتزلون الناس ويبقون في بيوتهم اما خشية ان تظهر قبائحهم عند اختلاطهم بالناس ، او انهم يرون في حالة اختلاطهم بهم انهم سوف لايعتقدون زهدهم واشتغالهم في العبادة وكل هذه الامور مرفوضة من وجهان عند الغزالي هما : ــ

أ- ان التواضع والمخالطة لاتنقص من منصب من كان كبيرا" بعلمه او دينه ، فهذا رسول الله محمد (ص) على الرغم من عظمته كان يحمل الشيء اذا اشتراه الى بيته بنفسه ، وكان (ص) عندما يطلب الاخرين مساعدته ، يقول لهم صاحب الشيئ احق بحمله . وهذا علي بن ابي طالب (ع) كان يحمل التمر والملح في ثوبه ويده ليؤكد ان

حمل ما يجر النفع للعيال لاينقص من مكانة صاحبه وكماله ، وكان ابو هريرة عندما اصبح واليا" للمدينة يحمل الحطب على راسه (١١٠) .

ب- ان الذي شغل نفسه بطلب رضا الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لسببين هما . انه لو عرف الله حق المعرفة علم ان الخلق لايغنون عنه من الله شيئا" ، وان ضرره ونفعه بيد الله ولانافع ولاضار سواه . والسبب الثاني ان من طلب رضا الناس ومحبتهم بسخط الله سخط عليه واسخط الناس عليه .

٧- ان العزلة ستجعل الانسان لاينتفع من احدى فوائد المخالطة التي تجعل من الفرد يستفيد من التجارب والممارسة في فهم ذلك ، فالعقل الغريزي ليس كافيا" في تفهم هذه الامور بمفرده مالم تدعمه التجربة وعلى اساس ذلك فلا خير في عزلته مالم تحنكه التجارب ، فالصبي اذا اعتزل بقي غمرا" جاهلا" لذلك يجب عليه الاشتغال بالتعلم فيحصل له في تلك المدة ما يحتاج اليه من التجارب كما يحصل له أيضا" عن طريق سماع الأحوال . وابرز فوائد التجارب ايضا" هي معرفة الإنسان نفسه واخلاقه وصفاته الباطنة ، فالمخالطة كفيلة بالكشف عن ذلك ، اما العزلة فلا تحقق هذا الأمر، فالإنسان إذا كان غضوبا" او حقودا" او حسودا" لجأ الى العزلة لم يترشح من خبثه شيئا"، أما إذا خالط الناس ستتحرك هذه الصفات الكامنه في قلبه وعندها يعرف حقيقة صفاته كي يقهرها ويتخلص منها (١١١) .

فالغزالي اذن جعل من الاختلاط والاندماج في الحياة الاجتماعية وسيلة مهمة لتخليص الانسان من العقد النفسية والعزلة هنا تسبب امراضا" كثيرة كالفشل في الحياة الاجتماعية في مختلف صورها ، والمعاشرة تكشف للانسان عيوبه التي تخفى عليه (١١٢) وعندها يسعى للتخلص من سلبياته .

وبعد كل هذا الكلام الطويل الذي دمج فيه أبو حامد آفات العزلة مع تأكيده فوائد المعاشرة والتي وضح بين جنباتها فوائد العزلة وبعد التفصيل الكثير لمواضيع المعاشرة من جانب ومواضيع العزلة من جانب اخر وبعد كل هذه التشعبات يعلن ان الانسان اذا عرف فوائد العزلة وغوائلها يتحقق عنده ان الحكم عليها مطلقا" بالتفضيل نفيا" واثباتا" خطا" ، بل ينبغي ان ينظر الى الشخص وحاله والى الباعث على مخالطته والى الفائت بسببها من فوائد وعندها يقاس الغائب بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الافضل . وبعد ذلك ذكر كلام الامام الشافعي (رحمه الله) ليكون فصل الخطاب اذ قال : ((يونس الانقباض

عن الناس مكسبة للعداوه والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنسبط ، فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالاحوال وبملاحظة الفوائد والآفات يتبين الافضل . وهذا الحق هو الحق الصراح وكل ما سوى هذا فهو قاصر)) (١١٣) .

من كلام الغزالي حول العزلة والمعاشرة اتضح لنا ان المعاشرة يجب ممارستها في مختلف مراحل حياة الانسان لما لها من فوائد والتي سبق ذكرها في صفحات سابقة . فالمعاشرة سابقة من حيث وجودها على العزلة ، والعزلة تأتي لاحقا" . وان الانسان متى ما استفاد من فوائد المعاشرة من علم وتعلم وتأدب .... الخ بحيث يفهم العلوم الشرعية ، وان كانت له امكانية عقلية يجمع بين العلوم الشرعية والعقلية معا" ، وفي حالة حصوله على مميزات تؤهله لمناجاة الله تعالى ، منجاة صادقة هدفها المكاشفة والمشاهدة فعندها تصبح العزلة امر ضروري لما فيها من اهمية كبيرة وانها لا تستحب الا لمستغرق الاوقات بربه ذكرا" وفكرا" وعباده وعلما" بحيث لو خالطه الناس لضاعت اوقاته وكثرة آفاته ولتشوشت عليه عباداته (١١٤) .

ومن هنا ندرك السبب الذي جعل من ابي حامد يترك التدريس في نظامية بغداد مع ما اصابه من جاه وصيت ، فهو في بداية حياته لم يبدأ بالعزلة بل بالمعاشرة وبعد ان جمع العلوم الشرعية والعقلية وشعر برغبة جامحة للتوجه الى الله بنية صادقة رغبة بالمكاشفة والمشاهده عندها اثر العزله .

بل ان الغزالي وبعد ان تبنى الفلسفة الفيضية قبل عزلته وخروجه من بغداد ، وجد انها لا توصل الى معرفة مباشرة (بالمشاهدة والذوق) لذلك فكر في ان يكمل العقل بالذوق أي بالعزلة والتجربة الروحية وبذلك تكمل لديه فلسفة الاشراق بركنيها العقلي والذوق(١١٥)

وهذا هو السبب الرئيس للعزلة وليس لغرض الظهور بمظهر مصلح ديني وسياسي ، او انه كان يتهيأ كي يكون بطلا" روحيا" للدين الاسلامي خصوصا" وان الصليبين كانوا يتأهبون في الغرب لمواجهة الاسلام كما يرى دي بور (١١٦) .

لان الغزالي لم يعلن عن ذلك من جانب . ومن جانب اخر انه لم يكن إيجابيا" مع الصليبين ، كما كان إيجابيا" في قضية كفاحه الديني ضد المعتقدات الباطنية العامة ، بحيث اوقعه موقفه الاول في قالب سلبي غير مرغوب فيه ، والثاني في قالب عاطفي للحكام كما حدث له مع المستظهر وابن تاشفين (١١٧) .

وحتى لا نخرج عن الموضوع نقول ان الغزالي مثلما اجاز العزلة فانه جوز انقطاعها في حال تفشي الداء في المجتمع لغرض معالجته والقضاء على الباطل وانقاذ الناس من الهلاك ، ومن هذا المنطلق نعرف سبب قطعه لعزلته التي دامت احدى عشر سنة عندما قرر الرجوع الى نيسابور في ذي القعده سنة تسع وتسعين واربع مائه (١١٨) .

هذه ابرز الافكار التي اردنا توضيحها حول موضوعي المعاشرة والعزلة كي تكون الدراسة مكتمله الجوانب وان كان العرض يتسم بطول النفس فعله ذلك ان ابا حامد كاتب كبير ، ذو نفس طويل في الكتابة يشدنا معه ولكننا في الوقت نفسه نسعى الى تقديم عرض موجز لافكاره وهنا تكمن الصعوبه في استخراج النزير من الكلام الكثير . وسيكون مسك الختام لهذه الدراسة هو ما ميز الغزالي عمن تقدموه من فلاسفة حول موضوع الصداقة .

خامسا" : ــ الغزالي والفلاسفة الذين تقدموه : ــ سبق وان تكلمنا عن موقف بعض فلاسفة اليونان وبعض فلاسفة المسلمين من موضوع الصداقة وهنا سنشير الى الافكار التي شابههم بها الغزالي ، ومن ثم نبين الافكار التي ميزته عن هؤلاء .

١ــ الغزالي وفلاسفة اليونان ــ نلاحظ من هذه الدراسة ان الغزالي اكد الافكار التي ذكرها ديمقريطس كتأكيد تعاون الاصدقاء وبذل المال والنصيحة لهم ، فضلا" عن تفضيل منح العلم على المال . ونادى ابو حامد ايضا" بافكار سبق ان نادى بها سقراط كوصف الصديق بالمرآة التي يعرف من خلالها الانسان عيوبه ، ناهيك عند التزام الرفق بالنصيحة وان الزجر يلجأ اليه في نهاية المطاف مع صدق النصيحة أي ان الناصح يعمل بما نصح به غيره .

ونجد الغزالي قد شارك افلاطون في بعض المواضيع وهي ان الحكيم العاقل يكون محبوبا" عند الناس بوصفه شخصا" مفيدا" نافعا" ، وان المسيء شخص غير مرغوب فيه ، فضلا" عن جعلهم المحبة بوصفها عاملا" رئيسا" لقيام الصداقة ، ناهيك عن منح العقل مكانة مرموقة في اختيار الاصدقاء بجانب العاطفة .

ولا ننسى تأكيدهما على ضرورة حل المشاكل التي تحصل بين الاصدقاء مع مراعاة حقوقهم بحيث لايستغل بعضهم البعض او يذله . فضلا" عن تاكيد موضوع تعارف الارواح في عالم الذر قبل الحياة الدنيا .

والغزالي شابه افلاطون في حديثه عن ثنايا النفس الانسانية في إحياء علوم الدين عندما حلل صفاتها المحمودة والمذومة تحليلا" دقيقا" (١١٩) .

اما عن ارسطو فنقول ان مسائل الشبه كانت في تأكيد الصداقة الفاضلة الحقة والتي يحفظ فيها الصديق حقوق صديقه ويقضي حوائجه ويحافظ على سره وسمعته ، وان لايصدق ما يقال عنه من اقوال المسيئين ، مع السعي برفع الضرر ان وجد ، هذه الصداقة تقوم على الخير والمحبة والفضيلة حيث يحب الانسان صديقه وكأنه نفسه ويريد له مالها .

ونقطة مشتركة أخرى هي انهما أوضحا بان الإنسان لايستغنى عن الصديق . إضافة إلى الدعوة بتفعيل دور النصيحة بين الأصدقاء ولا يجوز مقاطعة الصديق من اول زلة بل ينبغي إصلاحه وتكون المقاطعه الحل الأخير في حال اليأس من إصلاحه .

واشترك الغزالي مع ارسطو في تأكيدهما دور المعاشرة واثر العشير على صاحبه سلبا" أو إيجابا" .

هذه الأفكار شارك بها الغزالي من تقدمه من الفلاسفة ولكن ما يميزه عن هؤلاء هو انهم نظروا للصداقة على نحو عام كمسألة أخلاقية وكانت أفكارهم النظرية غير مبنية على أساس دين سماوي معين ، بينما الغزالي انطلق من الدين الإسلامي الحنيف فهو في حديثه عن الصداقة بين وجهة نظر الإسلام منها وعندما صاغ أفكاره عنها صاغها على أساس إسلامي حيث اعتمد الآيات القرآنية المباركة والأحاديث النبوية الشريفة والمأثور عن رجال الإسلام البارزين شواهد تدعم أراءه ، فصداقة الغزالي كانت من منظور إسلامي أما من تقدمه فكانت من منظور فلسفي لذا نجده وفق بين أفكار مثالية وأخرى واقعية انطلاقا" من دين الإسلام الذي جمع بين المثل في الواقع بحيث لم يضحي بإحداهما على حساب الأخر . وميزه أخرى تتمثل بان ابا حامد نظر للصداقة من باب التصوف المبني على الدين الإسلامي أيضا" .

فإذا كان الغزالي قد شابه أفلاطون في حديثه عن النفس وصفاته فالذي يميزه الحلول التي قدمها كي تعين النفس على استئصال هذه الصفات المذمومة .

واذا كانت افكار الغزالي في الاحياء حول الصداقة مقاربه الأفكار ارسطو في كتابه عن الاخلاق من حيث البحث في اصول الاخلاق من الناحية النظرية فان الغزالي وان بحثها من الناحية النظرية الا انه عنى فوق ذلك باضاءة القلب ، ويمكننا استنادا" الى هذا القول بان كتاب الاخلاق لارسطوطاليس كتاب علم بينما الاحياء كتاب علم وهدايا معا" (١٢٠) .

هذا ما يميز الغزالي عن فلاسفة اليونان في حديثه عن الصداقة .

٢ــ الغزالي وفلاسفة المسلمين ــ ونقصد هنا بالفلاسفة المسلمين إخوان الصفاء والتوحيدي بوصفهما انموذجا" اخذناها كما اخذنا بعض فلاسفة اليونان انموذجا" ، وسوف نبدأ بنقاط التشابه اولا" ثم نعول على ما ميز الغزالي عنهم .

تتمثل نقاط الشبه بين الاخوان والغزالي في تأكيد معرفة احوال الشخص المراد صحبته ، ومذهبه واخلاقه وان يجرب قبل اتخاذه صاحبا" ، فان ثبت حسن اخلاقه فهو مرشح للصداقه وان كانت اخلاقه رديئه فلا يستحق الصداقه لان معاشرته تجعل الاخر يتأثر باخلاقه . ويلاحظ ايضا" ان الاخوان والغزالي اكدوا ضرورة تعاون الاصدقاء على امور الدين والدنيا مع الوقوف بجنبهم في السراء والضراء والدفاع عنهم والنصرة لهم ضد من يحاول الاساءة لهم او لعرضهم ، مع ضرورة المحافظة على اسرارهم ، واعطائهم ما يحتاجون من مال او علم او كلاهما معا" ، وان لا يتبدلون على بعضهم في حال تبدل احوالهم من فقر الى غنى او في حال نيلهم سلطه عليا ،لان للصديق حقوق كحقوق الاقارب والزوجه يجب مراعاتها .

تشابهوا ايضا" في تأكيد دور النصيحة والشفقة والمحبة وان ينظر الانسان لصاحبه وكأنه هو ، فضلا" عن تأكيدهما بان المختلفين بالطبع لاتنجح صداقتهم ولاتدوم .

اما عن الغزالي والتوحيدي فكانت نقاط التشابه في اعطاء اهمية كبيرة للاخلاص القائم على استواء الظاهر والباطن . فضلا" عن الدعوى بترك التكلف بين الاصدقاء مع ضرورة تجنب كثرة الطلبات لانها تجعل الصداقة ثقيلة .

وكلاهما طالب من الاصدقاء ان يتواصلوا ويساعد بعضهم بعضا" ، وايثار مصالح الاصدقاء والاهتمام بكل امورهم وعمل مايرضيهم وتحاشي ما يكرهون مع السعي الى علو شأنهم ومكانتهم والرفعة من قدرهم وتصديق قولهم . اضافة الى تأكيدهما ضرورة قبول نصيحة الصديق دون استعلاء عليه ، فضلا" عن التزام الرفق بالنصيحة .

فالغزالي اذن جمع كل هذه الافكار ولكن هناك مسائل تمنحنا فرصة للتمييز بينه وبين الاخوان والتوحيد ي فاما مايميز اخوان الصفاء عن الغزالي هو انهم على الرغم من ربطهم الصداقة بأفكار دينية وأخرى عرفانية الا انهم لم يؤكدوا على صداقة المسلم للمسلم فقط بل اكدوا صداقة غير المسلم وهذا يعني انهم في صداقتهم يقبلون اصحاب الديانات الاخرى لأنهم من المؤكدين على وحدة الاديان .

فالاخوان جهدوا انفسهم في عهد الخلاف والشقاق ، وتعدد الفرق والاحزاب ، في إعادة الوحدة إلى الإسلام ، والجمع بين المسلم والنصراني والمجوسي واليهودي والافلاطوني والمشائي والفيثاغوري ، وتوجيه الجميع الى غاية واحدة هي الحقيقة المطلقة (١٢١) وبناء" على ذلك اثيرت خلافات عدة حول الغايات من صداقة الاخوان عند الباحثين من دينية وسياسية واجتماعية ...الخ (١٢٢)

بينما هكذا اشكالات لم تثار حول صداقة الغزالي هذا من جانب ، ومن جانب اخر ان صداقة اخوان الصفاء اقرب للفلسفة بل نظر لهم بوصفهم جماعة فلسفية هدفها اقناع منتسبيها بوحدة الفلسفة والدين الاسلامي او بالاحرى تنقية الشريعة من الضلالات التي اصابتها ،عن طريق الجمع بين الفلسفة والدين الاسلامي (١٢٣) .بينما الغزالي لم يدعو الى ذلك ، بل نظر له بوصفه الشخص الذي استفاد من منصبه الفكري والديني والتعليمي للدفاع عن العقيدة الاسلامية ضد الفكر الفلسفي اليوناني حيث اكد تهافت اقوال الفلاسفة في كتابه تهافت الفلاسفة ، وانه استطاع بصوره مؤثره جدا" من اغلاق الحركة الفلسفية بوجه عام (١٢٤) .

فضلا" عن جعله ممثلا" للمذهب النقدي العلمي وانه وصل الى اللاتين في القرن الثالث عشر بهذه الصوره في كتابه الشهير تهافت الفلاسفة الذي وصل لهم تحت عنوان (Destructio of philosophorum)(١٢٥).

فموقف الغزالي من الصداقة اذن موقف اسلامي اما الاخوان فأقرب الى الفلسفة .

اما ما يميز الغزالي عن التوحيدي فالثاني على الرغم من تأكيده روابط الصداقة والحرص على الصديق ، وتأكيده على تحقيق صفاء النفس والتكامل الخلقي مع تأكيد النزعة المثالية المرتكزه على الفضائل النفسية والسلوكية المناهضة لتيارات الفساد والانحلال .

الا انه كتب ذلك في اول شبابه عندما كان متصوفا" (١٢٦) ، اما في اخر حياته ووفقا" للصورة التي نقلها عنه ياقوت الحموي فيتضح من خلالها انه ابتعد عن التصوف واخلاق الصوفية (١٢٧) ، خلافا" للغزالي الذي لجأ للتصوف في نهاية تجربته الشكية وعندها ختم حياته متصوفا" .

وهناك فارق آخر هو ان التوحيدي احرق مؤلفاته بيده ضنا" بها على من لايعرف قدرها وحفيظة منه على اهل زمانه الذين جاورهم في بغداد عشرين عاما" بعد ان لم يصح له

منهم ود ولم يضعوه بحيث كان يرجو من الجاه والرياسه (١٢٨) وانه لم يخرج رسالته حول الصداقة الا بعد ان طلب منه الوزير ذلك في اخر ايام حياته سنة ٤٠٠هـ (١٢٩) .
اما الغزالي فلم يحرق مؤلفاته كي يحرم الاخرين من الافادة منها من ناحية ، ومن ناحية اخرى انه عندما كتب اراءه حول الصحبه لم يفعل ذلك بناء" على طلب وزير او ملك بل فعل ذلك بدافع اخلاقي وديني ، ناهيك عن كونه لم يبحث عن الرياسة التي كان التوحيدي يأمل نيلها .
وحقيقة اخرى ان اراء التوحيدي حول الصداقة كانت اقرب للفلسفة من افكار الغزالي التي كانت مبنية على اساس اسلامي فالتوحيدي مثلا" استشهد باقوال سقراط بينما ابا حامد لم يفعل ذلك .
هذا ما استطعنا تقديمه من فوارق بين الغزالي واخوان الصفاء والتوحيدي وافكارهم حول الصداقة وبعد ان بيناها سننتقل الى خاتمة هذه الدراسة .

الخاتمة : ـ

نستخلص من هذه الدراسة ان الغزالي نظر للصداقة بوصفها ظاهرة اخلاقية مهمة جدا" تعين الانسان دينيا" واجتماعيا" ونفسيا" واقتصاديا" دون ان يؤكد صداقة المنفعة التي هدفها المنفعة ذاتها او دون ان يكون غرضها اشباع اللذة لغرض اللذة ذاتها بل عد الصداقة الحقة هي التي تحقق لاصحابها المنفعة وتقوم باداء حقوق الصداقة لوجه الله تعالى لغرض نيل ثواب الآخرة وبما انها تسعى الى اصلاح حال الانسان في الآخرة فهذا يعني ضمان تحقيق فوائدها في الدنيا ايضا" له أي انها تحقق الفائدة للاصدقاء في الدنيا والاخرة .
الصداقة التي نشدها ابو حامد صداقة الفضيلة التي تقوم على المحبة والألفة والتعاون في السراء والضراء والرخاء على امور الدين والدنيا ، صداقة تلزم الانسان اداء حقوقها على ادق وجه واتم صورة بحيث يعمل بها من باب واجب الوفاء بها دون منه او دون اظهار التفضل في ذلك ، بل يعطي الصديق ما يستحق ، هذه الصداقة تجعل من الصديق المرآة المجلوه لمشاهدة عيوب النفس والسعي للخلاص منها ، حيث يجعل من الاصدقاء البوتقة التي يذوب من خلالها عيوبه ومساوئه .
وهكذا نظر الغزالي للصداقة والتي هي بلا شك نظرة الإسلام لها لانه اعتمد على فهم الاسلام للصداقة وان كل ما قدمه من تعليمات ونصائح فهي مبنيه على اساس إسلامي لذا

لايحق لبعضنا الاعتقاد بانه بالغ في بعض حقوق الصحبة كمشاطرة الصاحب بماله وممتلكاته ، وضرورة استواء الظاهر والباطن وتقديم مصالح الصديق على مصالحنا فهو لم يبالغ في ذلك ، وسبب هكذا اعتقاد هو ابتعادنا عن روح الاسلام الصحيح لاننا اخذنا بالقشور وتركنا اللب ، فلو كنا نعمل وفقا" لتعاليم الاسلام بالشكل الصحيح لما حصل ذلك . ولعل ابسط مثال لمعنى الاخوة والصداقة في الاسلام هو مشاطرة المهاجرين للانصار في ممتلكاتهم حيث كان اغلب الانصار فرحين بذلك ظاهرا" وباطنا" مقدمين مصالح المهاجرين على مصالحهم .

الهوامش والمصادر

(١) الغّزالي شخصية بارزة غنية عن التعريف وبناء" على ذلك سنشير له بصورة مختصرة فنقول هو ابو حامد محمد بن محمد بن محمد بن احمد الغزالي لقب بألقاب عديدة نجدها في قول السبكي : ((... الطوسي ، الإمام الجليل ، حجة الاسلام ومحجة الدين التي يتوصل بها الى دار السلام ، جامع اشتات العلوم والمبرز في المنقول منها والمفهوم ، جرت الائمة فيه شأوا ولم تقع منه بالغاية ولاوقف عند مطلب وراءه مطلب لاصحاب البداية والنهائة ...)) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ط٢ بلا تاريخ ، مجلد ٤، ص ١٠١ ــ ١٠٢ ــ ووصفه : ((ابن خلكان بزين الدين الطوسي الفقية الشافعي الذي لم يكن للطائفة الشافعية في اخر عصره مثله)). ينظر ابن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق د. احسان عباس ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، دار صادر بيروت ، ١٩٧١ ، ج٤، ص ٢١٦ .

اجمع اغلب المهتمين بالغزالي على انه ولد في طوس سنة ٤٥٠هـ وانه توفى في الاثنين رابع عشر جمادي الاخرة سنة ٥٠٥هـ في الطابران احدى بلدتي طوس . وهذا ما ذهب اليه ابن الجوزي وياقوت الحموي ، والسبكي وابن خلكان الذي اتفق معهم في تاريخ الوفاة الا انه جعل تاريخ ولادة الغزالي بين سنة ٤٥٠ و ٤٥١ هـ ــ ينظر ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، الدار الوطنية بغداد ، ١٩٩٠ ، مج ٩ ، ص ١٦٨ــ ١٧٠ كذلك ياقوت الحموي معجم البلدان ، دار صادر بيروت ، ط ٢ /

١٩٩٥ ، مج ٤، ص ٤٩ . يراجع أيضا" السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، مج ٤، ص١٠٥ ــ وابن خلكان ، الوفيات ، مج٤، ص ٢١٦ ــ ٢١٨ــ ٢١٩ .

أما حول لقب الغزالي فنحن نرجح تشديد الزاي بدلا" من تخفيفها ونؤيد ابن خلكان بقوله : ((الغزالي ، بفتح الغين المعجمة وتشديد الزاي المعجمة وبعد الالف لام ــ هذه النسبة الى الغزال)) على عادة اهل خوارزم وجرجان الذين ينسبون الانسان الى مهنته ، وان الزاي المخففة التي تنسبه الى قرية غزالة امر بخلاف المشهور ــ ابن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ١٩٦٨،ج١، ص ٩٨ــ لان والد الغزالي كما ذكر السبكي كان يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس ــ ينظر طبقات الشافعية الكبرى ، مج ٤، ص ١٠٢. اما عن تنقلات الغزالي والتي لايخفى على المتخصصين معرفتها فلا نتحاج الى ذكرها لشهرتها ــ ينظر مثلا" ابن خلكان ، الوفيات ج٤ ص ٢١٧ ــ ٢١٨ كذلك السبكي المصدر السابق ، ص ١٠٣ ــ ١٠٥ ــ ينظر ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ص ٤٩ .

(٢) الشهرستاني ، الملل والنحل ، اشرف على تعديل هذا الكتاب وقدم له ، جميل صدقي العطار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، ط١ / ١٩٩٩ / ص ٢٩٤ . وعرف الشهرستاني بديمقريطس بانه ((... من الحكماء المعتبرين في زمان بهمن بن اسفنديار . وهو وبقراط كانا في زمان واحد قبل افلاطون ، وله اراء في الفلسفة خصوصا" مبادئ الكون والفساد ، وكان ارسطو طاليس يؤثر قوله على قول اساتذة افلاطون الإلهي وما انصف)) المصدر والصفحة نفسهما ، ومن قول السهرستاني يتضح لنا مكانة افلاطون عنده

(٣) الشهرستاني ، المصدر نفسه ، ص ٢٩٥ .

(٤) ينظر ــ ابو حيان التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، تحقيق احمد امين واحمد الشريف ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٢ ، ج٢، ص ٣٧ .

(٥) ينظر ــ ابو حيان التوحيدي ، الصداقة والصديق ، تحقيق د. ابراهيم الكيلاني ، دار الفكر دمشق ، ١٩٦٤ ، ص ٢٣٨ . ينظر كذلك د. ناجي التكريتي ، الفلسفة الاخلاقية الافلاطونية عند مفكري الاسلام ، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط/١/١٩٧٩ ، ص ١٨٥.

(٦) ينظر Great books of the western world the dialogues of plato, Lysis or Friend Ship , translated by (Benjamin) dowett- William benton publisher , Encyclopedia Britannica , 1952 , volume 7,p 18.

بما اننا ذكرنا محاورة ليسيز في الصداقة فمن المناسب تحديد الحقبة التي الف فيها افلاطون هذه المحاورة ، لان الباحثين قسموا محاوراته الى ثلاث حقب زمنية هي حقبة الشباب ثم الكهولة فالشيخوخة ، وهذه المحاورةعلى كل حال من محاورات فترة الشباب ــ ينظر يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، دار القلم ، بيروت ، ط٢ / بلا تاريخ ، ص ٦٥.

(٧) ينظر plato , Lysis or Friend Ship – p20 ــ وربما يقصد افلاطون ان الصداقة بين الخير والشرير يمكن ان تحصل لغرض اصلاح الشرير ، وهذه الفكرة نستدل عليها من خلال احد الامثلة التي ذكرها وهو المثال الذي وضح فيه العلاقة التي تحصل بين الطبيب والمريض ، فالمريض يصادق الطبيب لغرض الصحة ، والصحة خير او مسألة جيدة بينهما المرض مسألة غير جيدة او شر ــ يراجع plato , Lysis or Friend Ship ,p23

(٨) ينظر plato , Lysis or Friend Ship ,p21-22 وحول المحبة بين الاصدقاء ينظر .p19

(٩) ينظر plato , Lysis - p24 اكد افلاطون على ان الشبيه يميل للشبيه ، وبناء" على ذلك فغير العادل يكون صديقا" لغير العادل والسيء للسيء والجيد للجيد ــ ينظر المصدر نفسه p25.

(١٠) ينظر افلاطون ، الجمهورية ، نقلها الى العربية ، حنا خباز ، مطبعة الانتصار ، بغداد ، بلا تاريخ ، ص ١٦٨ ــ ١٦٩ .

(١١) يراجع ارسطو طاليس ، الاخلاق ، ترجمة اسحق بن حنين ، تحقيق وشرح وتقديم ، د. عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط/١/١٩٧٩ . ص ٢٧٢ .

(١٢) ينظـــر J.A- k – Thomson , The Ethics of Aristotle , the nicomachen Ethics , printed in Baritain ,published in penguin classics . , 1955, p234

(١٣) ينظر ارسطو طاليس ، الاخلاق ، ص ٢٧٩. ولمزيـــد مـــن التفـــصيل ينظـــر المصدر نفسه ، ص ٢٨٠ .

(١٤) Great Books of the Western World , the Works of Aristotle, William Benton, Publisher , Encyclopedia Britannica , 1952 volume 9 , p408

(١٥) J.A- k – Thomson , The Ethics of Aristotle –p237 ينظر كـــذلك ارسطو طاليس الاخلاق ، ص ٢٨٤ .

(١٦) The Ethics of Aristotle – p235 والمعروف عن ارسطو انه اكـــد علـــى ضرورة تعاون الأصدقاء في السراء والضراء والشدة والرخاء ، ينظر ارسطو طاليس ، الأخلاق ، ص ٣٣٠ ــ ٣٣١ .

(١٧) ارسطو طاليس ، الأخلاق ، ص ٣١٢ ــ ٣١٣ .

حقيقة لابد منها وهي ان ارسطو عد النصيحة تشبه الصداقة ،وانها ليست صداقة وعلـــة ذلك ، ان النصيحة تكون ايضا" مع الذين لانعرفهم ، أي ليس شـــرطا" ان يكونـــوا مـــن ننصحهم هم اصدقائنا هذا من جانب ، ومن جانب أخر انه عد النصيحة ليست محبـــة لان المحبة مخالطة وليس شرطا" اننا نخالط من ننصحهم .

ويرى ايضا" ان النصيحة تكون فجأة حيث يشارك الناصح من ينصحه بالإرادة دون الفعل ، والنصيحة فضلا" عن ذلك ليس لها امتداد ولا شهوة ، وهذه الاشياء تتبـــع المحبـــة ــ ينظر المصدر نفسه ، ص ٣١٥ ــ ٣١٦ .

(١٨) ينظر المصدر نفسه ، ص٣٣٢ ــ ٣٣٣ . ولارسطو اراء عديدة حول الصداقة منها ان للاصدقاء حقوق مشتركة ويجب مراعاة العدالة في حقوقهم ينظر المصدر نفسه ص ٢٩١ . وان الصديق الفاضل هو الذي يرفض الانانية القائمة على حـــب الـــذات لان الفاضل يفعل الخير لصديقه من اجله لا لاجل جر المنافع ــ المصدر نفسه ، ص ٣٢١ .

(١٩) بما اننا اعتمدنا على ذكر الفلاسفة الذين تقدموا الغزالي حول موضوع الصداقة واقتصرنا على إخوان الصفاء والتوحيدي ، فلا بد من ان نبين ان هناك شخصيتان بارزتين اكدا اهمية الصداقة هما ابن الخمار ، وابو الخير الحسن بن سوار بن بابا بن بهرام الذي يقال انه توفى سنة ٣٧٠هـ ، وهذا الشخص مدحه التوحيدي واثنى عليه في كتابه الامتاع والمؤانسة وفي كتابه المقابسات ، ينظر لمزيد من التفصيل ابو حيان التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، ج١ ، ص ٣٣ ــ كذلك ابو حيان التوحيدي ، المقابسات ، تحقيق حسن للسندوبي ، المطبعة الرحمانية مصر ، ط/ ١/١٩٢٩ .ص ١٦٠ــ ٢٠٥ــ ٢٠٦ ــ ينظر كذلك د. ناجي ، الفلسفة الاخلاقية الافلاطونية عند مفكري الاسلام ص١٧٦ ــ ١٧٧ .

والشخصية الثانية هي شخص عبد الله بن المقفع المتوفى سنة (١٤٢هـ) ينظر حول افكاره في الصداقة د. ناجي المصدر السابق ص ٢٦٢ ــ ٢٦٣ ــ ٢٦٧.

(٢٠) ذهب الى هذا الرأي يوحنا قمير وغيرهم من الباحثين ، ينظر يوحنا قمير ، اخوان الصفاء ، منشورات دار المشرق ، بيروت ، ص ١٩٨٦.ص ٧. اما سبب استنتاجنا فهو لان باب الحمامة المطوقة يدور حول الصداقة ، حيث ذكر فيه ان التعاون بين الاصدقاء مصدرا" مهما" لخلاصهم من الشر ، وعلى الصديق ان يؤثر صديقه فضلا"عن تقديم يد العون له ، وذكر ان صداقة الفضلاء سريع قيامها صعب انكسارها ، بينما صداقة الاشرار سريع انقطاعها بطيء قيامها ، والصداقة التي تقوم على تبادل ذات النفس هي صداقة الاصفياء وعلى الانسان ان يكون عدوا" لعدو صديقه ، وصديقا" لصديق صديقه . والصداقة تقوم على النصيحة والمحبة وفي العيش وسط الاصحاب الذين يستحقون ذلك وهنا تكمن السعادة خصوصا" الاصدقاء الكرام الذين لايرجون مكافئة ولا مجازاة ، واصحاب كهؤلاء يحزن لفراقهم ، وخلتهم تفضل على خلة الوالد لولده ، وختمت بان الانسان اذا كان فاهما" قادرا" على التمييز بين الخير والشر فهو اولى بالتواصل والتعاضد ، راجع كليلة ودمنة ، تأليف بيديا الفيلسوف الهندي ، ترجمها الى العربية عبد الله بن المقفع ، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد ، بلا تاريخ ، ص ١٦٣، ١٦٤ ، ١٦٥. ١٧٥، ١٧٧ ،١٧٨ ، ١٧٩. وللتوحيدي تعريفا" باخوان الصفاء ذكره القفطي يؤكد قرب تسميتهم من الصداقة : ((هذه العصابة قد تألفت بالعشرة وتصافت بالصداقة واجتمعت على القداس والطهارة والنصيحة ..)) ينظر جمال الدين

علي بن يوسف القفطي ، تاريخ الحكماء ، مؤسسة الخانجي ، مصر ، مكتبة المثنى بغداد ، بلا تاريخ ص ٨٣ ــ ينظر التوحيدي ، المقابسات ، تحقيق حسن السندوبي ، ص ٤٦ .

(٢١) اخوان الصفاء ، رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء ، تحقيق وتقديم ، بطــرس البستاني، دار صادر ، بيروت ١٩٥٧، ج ٤، ص ٤٣ــ ٤٤ .

(٢٢) اخوان الصفاء ، المصدر نفسه ، ص٤٥.

(٢٣) المصدر نفسه ، ص ٤٦ــ ٤٧ .

(٢٤) المصدر السابق ، ص ٤٨ .

(٢٥) لمزيد من الايضاح ، يراجع المصدر نفسه ، ص ٤٩ ، ٥٠ .

(٢٦) ينظر لمزيد من التفصيل : المصدر اعلاه ، ص ٥٢، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ .

(٢٧) المصدر نفسه ، ص٥٧ ، ٥٨ .

(٢٨) التوحيدي : ــ ابو حيان ، علي بن محمد بن العباس ، كان والده يتجر بالتمر في بغداد حيث اقامت اسرته هناك ــ ينظر المقابسات ، تحقيق حــسن الــسندوبي . ص ٨ . والتوحيدي كما يذكر ياقوت الحموي شيرازي الاصل وقيل نيسابوري ، ويقول له بعــض الفضلاء بالواسطي قدم بغداد فأقام فيها مدة ومضى الى الري ــ يراجع ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، نسخ وتصحيح د. س. مرجليوث ، مطبعة هندية بالموسينكي بمصر ، ط / ٢/ ١٩٢٨ ، ج٥ ، ص ٣٨٠ . وذكر د. عبد الامير الاعسم انه لقب بالتوحيدي نــسبة الى مهنة والده حيث كان يبيع التمر المسمى التوحيد على عادة الناس في القرنين الثالــث والرابع الهجري حيث كانوا ينسبون الانسان الى صنعته ــ ينظر د. عبد الامير الاعسم ، التوحيدي في كتاب المقابسات ، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامــة ، بغــداد ، ط ١٩٨٦/٣ ص٥٥ . وذكر الحموي ان التوحيدي عمل في نسخ الكتب وكان حي حتى شهر رجب سنة ٤٠٠هــ . المصدر نفسه ص ٣٨١ ومن خلال ذكر الحموي للرسالة التي رد فيها التوحيدي على القاضي ابو سهل علي بن محمد عندما لامه على حرق مؤلفاته انه بلغ عشر التسعين ، المصدر نفسه ص ٣٨٨ . ويرى الاعسم ان وفاة التوحيدي كانت ســنة ٤٠١هــ وعلة ذلك انه بعد سنة ٤٠٠هــ لم يسمع له خبر على الاطلاق ــ المصدر نفسه ، ص ٥٨ اما تاريخ ولادته فامر لم يحصل عليه اتفاق فذهب حسن السندوبي انها كانــت سنة ٣١٢ هــ بينما ذكر د. ناجي انها كانت سنة ٣١٠ هــ ــ ينظر تحقيــق الــسندوبي

للمقابسات ، ص ٨ ــ كذلك د. ناجي الفلسفة الاخلاقية الافلاطونية عند مفكري الاسلام ص ١٨٤ .

(٢٩) التوحيدي ، المقابسات ، ص ٣٦٤ .

(٣٠) ابو الفتح النوشجاني هو احد المشايخ الذين درس التوحيدي على يديهم وسجل مناظراتهم، حسن السندوبي ، المصدر نفسه ، ص ١٠.

(٣١) التوحيدي ، المقابسات ، ص ٣٦٢ .

(٣٢) التوحيدي ، الصداقة والصديق ، ص ٢٣٨ .

(٣٣) التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، ج٢ ، ص ٣٧ .

(٣٤) د. ناجي ، المصدر السابق ، ص ١٨٧ .

(٣٥) اكد ابو حامد بان علوم المعاملة التي يتقرب بها الى الله تعالى ، تنقسم الى ظاهرة وباطنة ، والظاهرة قسمان ، معاملة بين العبد وربه ، ومعاملة بين العبد والخلق . اما الباطنة فهي قسمان ايضا" : ما يجب تزكية القلب عنه من الصفات المذمومة ، وما يجب تحلية القلب به من الصفات المحمودة . وقد بنى الغزالي كتابه ، احياء علوم الدين على هذه الاربعة ، حيث ذكر في خطبته : انه اسسه على اربع ارباع ، ربع العبادات ، وربع العادات ، وربع المهلكات ، وربع المنجيات . ومن ربع العادات كان كتاب الصحبة ، ينظر عبد القادر شيخ العيدروس ، كتاب تعريف الاحياء بفضائل الاحياء ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ٣ ، ٢٠٠٢ ، طبع كملحق لكتاب احياء علوم الدين للغزالي ، مج ٥ ، ص ٣ .

(٣٦) ينظر الامام ابي حامد الغزالي ، المنخول من تعليقات الأصول ، حققه وخرج نصه وعلق عليه ، د. محمد حسن هيتو ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط٣،١٩٨٨ ، ص ٣٠٥ ــ ٣٠٦ ــ ينظر كذلك الإمام ابي حامد الغزالي ، المستصفى في علم الأصول ، طبعه وصححه محمد عبد السلام الشافي ، بيروت ، بلا تاريخ ، ص ١٢٨ ــ ٢٧١ .

(٣٧) الصداقة والصحبة : الصداقة تأتي بمعنى الحلف والصديق سمي به لانه يحلف لصاحبه على أن لايغدر به ، ويقال هو حلفه . يراجع ــ تاج العروس من شرح القاموس المسمى من جواهر القاموس ، للامام اللغوي محب الدين ابي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي ، منشورات مكتبة الحياة بيروت ، بلا تاريخ ، ج٦ ،

ص ٥٧ . وقال أيضا" في حديثه عن العلاقة : والعلاقة كسحابة الصداقة والحب ، ينظر تاج العروس ، ج٧ ، ص ٢١ . والصداقة تأتي بمعنى الاخوة غير المرتبطة بنسب من الاب ــ تاج العروس ج ١٠ ، ص ١١ .

اما الصحبة فترتبط بالملازمة والانقياد بمعنى ان ما استحسنه الانسان دعاه الى الصحبة ولازمه وانقاد اليه ــ تاج العروس ، ج١ ، ص ٣٣٢ ــ ٣٣٣ . وترتبط الصحبة بالمعروف وهو النصح وحسن الصحبة مع الاهل وغيرهم من الناس ، يراجع تاج العروس ، ج٦ ، ص ١٩٦ ــ اما عند الغزالي فقد استخدم مصطلح الصحبة والصداقة والاخوة بمعنى واحد وعدها كلها داخلة في اخوة الاسلام حيث قال:((...اما القرابه وهي اخصها او اخوة الاسلام وهي اعمها ، وينطوي في معنى الصداقة والصحبة ....)) يراجع الإمام ابي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة (٥٠٥هـ)احياء علوم الدين وبذيله كتاب المغنى عن حمل الاسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار ــ للإمام زين الدين ابي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي المتوفى سنة ٨٠٦هـ منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ٣ ، ٢٠٠٢ م ، مج ٢ ، ص ١٧٣.

والصداقة عند الغزالي لها درجات فاذا قويت صارت اخوه ، فان ازدادت صارت محبة ، واذا ازدادت صارت خله . والخليل اقرب من الحبيب ، فالمحبة ما تتمكن من حبه القلب ، والخله ما تتخلل سر القلب فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلا" . الخله عبارة عن حالة هي اتم من الاخوة ، اذ الخليل هو الذي يتخلل الحب جميع اجزاء قلبه ظاهرا" ويستوعبه . وهكذا فالغزالي اعلن انه ليس قبل المعرفة رابطة ولا بعد الخلة درجة وما سواهما من الدرجات بينهما وتنتهي اقصاها الى ان توجب الإيثار بالنفس والمال ينظر الغزالي ، إحياء علوم الدين ، مج ٢ ، ص ١٧٣ .

(٣٨) قال الغزالي : ((.... فمن الصحابة من عاصر رسول الله (ص) او من لقيه مرة او من صحبه ساعة ، او من طالت صحبته ، وما حدّ طولها قلنا : الاسم لايطلق إلا على من صحبه ، ثم يكفي للاسم من حيث الوضع ، الصحبه ولو ساعة ، ولكن العرف يخصص الاسم بمن كثرت صحبته ويعرف ذلك بالتواتر والنقل الصحيح . ويقول الصاحبي كثرت صحبتي ولا حد لتلك الكثرة بتقدير بل بتقريب)) الغزالي ، المستصفى ، ص ١٣١ .

واكد الغزالي ايضا" ان أهل الصحبه هم الذين ثبتت صحبتهم . المصدر نفسه ، ص ١٣٥ ــ وبين في نهاية المطاف ان الصحبه لرسول الله فضيلة تخصص بهـا بعـض النـاس ميزتهم عن غيرهم . المصدر نفسه ، ص ١٤٦ .

(٣٩) الغزالي ، إحياء علوم الدين / مج ٢ ، ص ١٤١ .

(٤٠) المصدر نفسه ، ص ١٤٥ .

(٤١) يلاحظ اننا استخدمنا مصطلح ما فوق الطبيعة Super Natural بدلا" من ما بعد الطبيعة metaphysica لان الفكرة التي اشار لها الغزالي تتعلق بالعالم الالهي . وما فوق الطبيعة يقصد به ما يقوف قدرة الطبيعة ويعلو على مستواها كالاسرار التـي تكشف للاخرين مسائل خاصة تتعلق بذات الله تعالى والمواضيع التي لا تنم عنها الخليقة ولا قبل لمخلوق ان يعلمها بقوته الذاتية بل لا تنال الا بنعمة الهية ، ويدخل ضـمن ذلـك المعجزات ايضا" . وعليه يجب التمييز بين ما فوق الطبيعة بالمعنى المتقدم وبين ما بعـد الطبيعة التي تمثل علم عقلي وقسم من اقسام الفلسفة ــ ينظر يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الاوربية في العصر الوسيط ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، بغداد ، بلا تـاريخ ، ص ٩ . فما بعد الطبيعة ينصرف بها العقل الفلسفي الى دراسة مشكلات الوجود والبحث عن الوجود بما هو موجود باعتباره معنى مجردا" يطلق على كل موجود بعد تغطيه مـا في العالم من تغير وتنوع وكثرة وينظر الى ما فيه من وحدة وتجانس فيبحث عن اصـل الوجود ونظامه ومادته هل هي قديمة ام حادثة ، وهل العالم منظم ام لا ، هل الانـسان مجبر على افعاله ام له حرية فيها ينظر مثلا" د. عرفات عبد الحميد ، المدخل الى معاني الفلسفة ، دار الجيل ، بيروت، ط١ ، ١٩٨٩ ، ص ٢٨ ــ ٢٩ ــ ٣٠ .

(٤٢) يراجع الغزالي ، الإحياء ، مج ٢ ، ص ١٤٥ ــ اما حـديث (الارواح جنـود مجنده ....) اخرجه مسلم من حديث ابي هريرة والبخاري تعليقا" مـن حـديث عائـشة (رض) ينظر الامام زين الدين ابي الفضل العراقي ، المغني عن حمـل الإسـفار فـي تخريج ما في الاحياء من الاخبار ، هامش ص ١٤٥ من احياء علوم الدين للغزالي ، مج ٢ .

ونود ان نوضح هنا ان الغزالي تطرق لموضوع تعارف الارواح في احد رسائله حيـث قال : ((الاخوة في الدين والقرابه في العلم ارسخ الوسائل ولو لم يكن في الظاهر تعارف

، ولكن التعارف في الباطن مؤكد (والارواح جنود مجنّده) والنظر الى القلوب لا الى القوالب)) يراجع فضائل الامام من رسائل حجة الاسلام ، ترجمها من الفارسية وشرحها وعلق عليها ، د. نور الدين ال علي استاذ اللغة والاداب الفارسية بجامعة الجزائر ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٢ ، ص ١٣٠ وهذه الرسالة كتبها الغزالي لخواجه عباس خوارزم في معنى الاخوانيات .

(٤٣) ينظر مثلا" ، يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، دار القلم ، بيروت ، ط ٣ ، بلا تاريخ ، ص٧٤ .

(٤٤) ينظر ، الغزالي ، الإحياء ، مج ٢ ، ص ١٤٦ . يلاحظ ان الغزالي استشهد في حديثه عن عظمة صاحب العلم في ملكوت السماء بقول عيسى(ع) : ((من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما" في ملكوت السماء))المصدر نفسه،ص١٤٧ .

(٤٥) لمزيد من التفصيل ينظر المصدر نفسه ، ص ١٤٧ .

(٤٦) سورة البقرة ــ الاية ٢٠١ .

(٤٧) (اللهم اني اسألك رحمة ....) اخرجه الترمذي من حديث ابن عباس في الحديث الطويل في دعائه (ص) بعد صلاة الليل ــ يراجع المغني عن حمل الاسفار ، هامش ص ١٤٧ من إحياء علوم الدين . ومثلما سأل الرسول محمد (ص) الرحمة في الدنيا والاخرة فانه (ص) سأل العافية من بلاء الدنيا والاخرة حيث قال عليه الصلاة والسلام : ((اللهم عافني من بلاء الدنيا والاخرة)) اخرجه احمد من حديث بشر بن ابي ارطأة نحوه بسند جيد ، المغني عن حمل الاسفار، ص ١٤٧ .

(٤٨) الغزالي ، احياء علوم الدين ، مج ٢، ص ١٤٨ .

(٤٩) المصدر والصفحة نفسهما . والغزالي ادخل ضمن المحبة في الله ، مولاة المؤمنين للانبياء (ع) والصحابة و التابعين والعلماء وما يلحق تلك المحبة من اعمال كالذي بالنفس والمال واللسان ، فضلا" عن الشعور بالفرح عند ذكر محاسنهم والغضب على اعدائهم عندما يطعنون بهم ــ ينظر

لمزيد من لتفصيل ص ١٤٩ المصدر نفسه .

(٥٠) مبدأ التناقض ((Principle of contradiction)) يتمثل بالقول ان الشيء نفسه لا يمكن ان يكون حقا" وباطلا" معا" مثلا" ، وهذا القول انما هو نتيجة لمبدأ الهوية أي قولنا

((ما هو هو)) ينظر السيد جعفر باقر الحسيني ، معجم مصطلحات المنطق ، مطبعة البقيع ، دار الاعتصام للطباعة والنشر ــ ايران ط١ ، بلا تاريخ ، ص ٢٧٢ .

وهناك مبدأ عدم التناقض Law of non contradiction ويعتبر من مبادئ الفكر الاساسية في الفكر ومؤداه ، انه لايمكن ان يكون الشيء موجودا" او غير موجود في ان واحد ، اذا لايمكن تصور الشيء ونقيضه معا" ، لانه من المستحيل حمل صفة ما ونقيضها على شيء واحد بعينه بنفس الوقت ــ ينظر د ــ ياسين خليل ، المقدمة في علم المنطق ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٧٩ ، ص ١٤٧ ــ ١٤٨ .

(٥١) يراجع الغزالي ، احياء علوم الدين ، مج ٢، ص ١٤٩ ــ ١٥٠ .

ونحن نستدل من كلام ابي حامد انه في الحالات الكيفية يمكن الجمع بين شعورين متضادين (كالحب والكراهية) في بعض الحالات كون الشعور يعتبر حالة كيفية . اما الكمية فلا ينطبق عليها ذلك ، الكيف يعبر عن مسائل منفصلة بينما الكم يعبر عما هو متصل والمتصل لايجوز عليه ذلك والغزالي هنا استخدم مصطلح التناقض بينما الامر يتعلق بالتضاد .

(٥٢) ينظر ، اخوان الصفاء ، رسائل اخوان الصفاء ، ج٣ ، ص ٦٧ .

(٥٣) د ــ كفاح يحيى صالح العسكري ، الفكر التربوي والنفسي عند الغزالي ، دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر ، بغداد ، ط /١/ ٢٠٠٠ ، ص ٨٣ .

(٥٤) د ــ احمد الشرباصي ، الغزالي والتصوف الاسلامي ، دار الهلال للطباعة ، مصر ، بلا تاريخ ، ص٨٦ .

(٥٥) حديث (المرء علي دين خليله ....) اخرجه ابو داود والترمذي وحسنه ، والحاكم من حديث ابي هريرة وقال حديث صحيح ينظر الامام زين الدين العراقي ، المغني عن حمل الاسفار ، هامش ص ١٥٣ من احياء علوم الدين ، مج ٢ .

(٥٦) ينظر ديوان الامام علي بن ابي طالب (ع) ، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ط٣ ، ٢٠٠٠ ، ص ١٥٣ . ونجد في هذا الديوان ان بيت وللقلب على القلب ... قد سبق البيت القائل وللشيء على الشيء ــ يراجع الغزالي احياء علوم الدين ، مج ٢ ، ص ١٥٣ .

(٥٧) الغزالي ، الاحياء مج٢ ص ١٥٣ .

(٥٨) المصدر والصفحة نفسهما

(٥٩) المصدر نفسه ، ص ١٥٤ــ والغزالي اعتمد هنا على وصية علقمه العطاري لابنه حين حضرته الوفاة .

(٦٠) ((عليك باخوان الصدق ...)) هذا الكلام رواه سعيد بن المسيب ، ينظر المغني عن حمل الاسفار ، هامش ص ١٥٤ من احياء علوم الدين ، مج ٢ .

(٦١) بنى ابو حامد موقفه هذا على ادلة نقلية من القران الكريم واحاديث الرسول (ص) كقوله تعالى:((لا تجد قوما" يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم أو ابناءهم)) سورة المجادلة اية ٢٢ . وقوله تعالى : ((يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء)) الممتحنة اية (١) واستشهد ايضا" بقول الرسول محمد (ص) : ((المسلم والمشرك لا تتراءى نارهما)) رواه النسائي مرسلا" ، وقال البخاري الصحيح انه مرسل ــ ينظر الامام زين الدين العراقي ، المغني عن
حمل الاسفار هامش ص ١٥١ من احياء علوم الدين مج٢ . وهذا الكلام لايعني ان الغزالي يدعو الى اذية غير المسلم ، بل الى مقاطعته ، فالذمي مثلا" قال عنه لايجوز ايذاءه الا بالاعراض عنه والتحقير له بالاضطرار الى اضيق الطرق ــ يراجع الغزالي المصدر نفسه ، ص ١٥١ .

(٦٢) سورة الكهف : اية ٢٨ .

(٦٣) سورة طه : اية ١٦ .

(٦٤) سورة النجم : اية ٢٩

(٦٥) سورة لقمان : اية ١٥

ينظر لمزيد من التفصيل ، الغزالي ، الاحياء ، مج ٢ ، ص ١٥٤ .

(٦٦) الغزالي ، المصدر نفسه ، ص ١٥١ ــ ١٥٤ ــ وله اراء عدة حول صاحب البدعة يمكن الاطلاع عليها في ص ١٥٢ ــ والمعروف عن الغزالي انه ادخل في مجال المنهي عن مصاحبتهم اهل الظلم من السلاطين ــ ينظر الغزالي ، رسالة ايها الولد ، تعهد طبعها واشرف عليها الحاج فؤاد الدين قوام السامرائي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ط٣ / ١٩٦٩ ، ص ٤٨ .

(٦٧) ينظر الغزالي ، الاحياء ، مج ٢ ، ص ١٥٣ . والغزالي يقصد بالفاسق هنا المصر على فسقه بحيث حصل يأس من اصلاحه بعد تكرار النصيحة .

(٦٨) المصدر نفسه ، ص ١٥٤ ــ فيما يتعلق بالقول الذي نقله الغزالي عن الامام جعفر الصادق (ع) نقول ان هناك كلاما" مشابها" له وقول سابق عليه نجده في وصية الامام علي لابنه الحسن عليهما السلام : ((يابني ، احفظ عني اربعا" واربعا" ، لا يضرك ما علمت معهن : ان اغنى الغنى العقل ، واكبر الفقر الحمق ، واوحش الوحشة العجب . واكرم الحسب حسن الخلق . يابني ، اياك ومصادقة الأحمق ، فانه يريد ان ينفعك فيضرك . واياك ومصادقة البخيل ، فانه يقعد عنك احوج ما تكون اليه . واياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتفاهه. واياك ومصادقة الكذاب ، فانه كالسراب ، يقرب اليك البعيد ، ويبعد عليك القريب)) يراجع ، ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٦٧ ، ج١١ . ص ١٥٧ .

(٦٩) الغزالي ، الاحياء ، مج ٢ ، ص ١٥٥ .

(٧٠) الغزالي ، رسالة ايها الولد ، ص ٣٧ ــ يلاحظ هنا انه في حديثه عن التربية استخدم مصطلح السالك ومصطلح الشيخ ويقصد بذلك التربية الصوفية لهذا استخدم مصطلحا" شيخ للمربي بدلا" من المعلم .

(٧١)الغزالي ، احياء علوم الدين ، مج ٣ ، ص ٦٥ ينظر كذلك حنا الفاخوري والدكتور خليل الجر ، تاريخ الفلسفة العربية ، مؤسسة بدران وشركاه ، بيروت ، طبعة جديدة منقحة مع نصوص فلسفية مختاره ، بلا تاريخ ، ص ٥٥٥ ولمزيد من التفصيل ينظر ص ٥٥٦ .

(٧٢) جان جاك روسو : ولد هذا الكاتب بمدينة جنيف من اعمال سويسرا في ٢٨ من يوليو سنة ١٧١٢ ــ اكد روسو ان مرحلة الطفولة عندما كانت اطول عند الانسان من بقية انواع الحيوان فذلك يرجع الى فائدتها للجنس البشري ، فنحن لم نجد من بين جميع الكائنات الحية من هو اكثر ضعفا" واشد خضوعا" لما يحيط به واكثر حاجة الى الشفقة والحماية من طفل الإنسان ــ ينظر محمد حسين هيكل ، جان جاك روسو ، مكتبة النهضة المصرية ، ط /٥/١٩٦٣ ، ص ١٩٦ . لذا فالطفل بحاجة الى توفير بيئة مناسبة له ومربى صالح يوفر له الاجواء الاخلاقية المناسبة مع ضرورة ابعاده عن قرناء السوء ــ المصدر نفسه ، ص ٢٠٨ ــ ٢١٠ لذا فمن الاهمية بمكان الحفاظ على الانسان الطيب بفطرته . هذه الافكار وغيرها ناقشها روسو في كتابه (اميل او التربية) والذي اتمه

وطبعه بمعونه المسيو (مالرب) واخرج للناس فيما يزيد على الالف من الصفحات ــ المصدر نفسه ، ص ٢٢٠ .

ولمزيد من التفصيل حول مقارنة افكار الغزالي بروسو ــ ينظر د. محمود قاسم ، دراسات في الفلسفة الاسلامية ، دار المعارف مصر ، ط٢ ، ١٩٦٧ ، من ص ١٩٦ الى ص ٢١٢ .

(٧٣) الغزالي ، الإحياء ، مج ٢ ، ص ١٥٥ .

(٧٤) سورة الشورى ، اية ٣٨

(٧٥) الغزالي ، الإحياء ، مج٢، ص ١٥٦ ــ ١٥٧ .

(٧٦) المصدر نفسه ، ص ١٥٧ ــ ١٥٨ .

(٧٧) المصدر نفسه ، ص ١٥٩ .

(٧٨) حديث : ((إن الله قد حرّم على المؤمن .....)) اخرجه الحاكم في التاريخ من حديث ابن عباس دون قوله وعرضه ، ورجاله ثقات الا ان ابا علي النيسابوري قال : ليس هذا عندي من كلام النبي (ص) انما هو عندي من كلام ابن عباس ، ولابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر ، ولمسلم من حديث ابي هريرة : ((كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)) يراجع الإمام زين الدين العراقي ، المغني عن حمل الاسفار ، هامش ص ١٥٩ من الاحياء للغزالي مج٢ .

(٧٩) حديث : ((لا تحسسوا ولا تجسسوا ....)) متفق عليه من حديث ابي هريره ــ ينظر زين الدين العراقي ، المصدر السابق ص ١٦٢ .

(٨٠) سورة المطففين ، الآيتان ١ ــ ٣

(٨١) الغزالي ، احياء علوم الدين / مج ٢ ، ص ١٦١ ــ لمزيد من التفصيل ينظر ص ١٦٢ .

(٨٢) حديث : ((اذا احب احدكم ....)) اخرجه ابو داود والترمذي ،، وقال حسن صحيح ــ المغني هامش ص ١٦٢ من الاحياء مج ٢ .

(٨٣) الغزالي ، الاحياء ، مج ٢ ، ص ١٦٣ ــ عرف عن الغزالي انه عندما تطرق لمصاحبة السالك للشيخ ان يحترمه ظاهرا" وباطنا" وان يكون صادقا" معه بحيث يقبل منه باطنا" الاشياء التي سمعها من شيخه وقبلها ظاهرا" أي يجب ان لا يكون في الظاهر مؤيدا" وفي الباطن ناكرا" ، وفي حال حصول ذلك يجب على السالك ترك شيخه كي لا

يكون منافقا" وعليه في تلك الفترة الاحتراز عن مجالسة اصحاب السوء ليقصر ولاية شياطين الجن والانس عن صحن قلبه حتى يصفى من لون الشيطنة ، وان يلتزم مصاحبة الفقراء وعندما يوافق ظاهره باطنه عندها يحق له مصاحبة الشيخ ــ ينظر الغزالي ، ايها الولد ، ص ٣٩ .

(٨٤) ينظر الغزالي ، فصائل الانام من رسائل حجة الاسلام ، ص ١٣٤ ــ ١٣٥ .

(٨٥) الغزالي ، الدرة الفاخرة في معرفة علوم الاخرة ، تحقيق جميل ابراهيم حبيب ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٦ ، ص ٧٤ .

(٨٦) هذا الكلام ذكره الغزالي عندما تطرق لبعض المسائل التي تتعلق بالعالم الإلهي ــ ينظر الغزالي ، معارج القدس في مدارج معلاقة النفس ، وتليها القصيدة الهائية والقصيدة التائية للمؤلف ، تحقيق وتقديم ، جميل ابراهيم حبيب ، منشورات وتوزيع المكتبة العالمية ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ١٨٦ ــ ١٨٧ .

(٨٧) الغزالي ، الاحياء ، مج ٢ ، ص ١٦٣ .

(٨٨) المصدر نفسه ، ص ١٦٤ .

(٨٩) سورة الشعراء ، اية ٢١٦ ــ ينظر الاحياء ، مج ٢ ، ص ١٦٤ .

(٩٠) الغزالي الاحياء ، مج ٢، ص ١٦٦ ــ ١٦٧ .

(٩١) حديث : ((اذا دعا الرجل لاخيه ....)) اخرجه مسلم من حديث أبي الدرداء ، يراجع المغني هامش ص ١٦٧ من الاحياء مج٢ .

(٩٢) الغزالي ، المصدر السابق ، ص ١٦٨ .

(٩٣) المصدر نفسه ، ص ١٦٩ .

(٩٤) المصدر والصفحة نفسهما

(٩٥) المصدر نفسه ، ص ١٧٠

(٩٦) المصدر نفسه ، ص١٧١

(٩٧) ينظر لمزيد من التفصيل ، المصدر نفسه ص ١٧٢ ــ ونود الاشارة الى ان الغزالي قد تطرق لادب المعاشرة في رسالة الادب في الدين واغلب الافكار ذكرها في الاحياء ، ولكن هناك مسائل لم يشر لها في الاحياء بينما ذكرت في رسالة الادب في الدين كالاستبشار عند اللقاء والمؤانسة عند الجلوس والتشييع عند القيام ، والانصات عند الكلام وترك الجواب عند انقضاء الخطاب والنداء باحب الاسماء ــ ينظر ابي حامد

الغزالي ، رسالة الادب في الدين ، مجموع الرسائل ، القاهرة مطبعة كردستان العلمية ، ١٣٢٨ ــ نشرة دار الشروق ــ وللامانة العلمية نقول اننا اعتمدنا نص هذه الرسالة من كتاب الفكر التربوي عند الامام الغزالي ، للدكتور عبد الامير شمس الدين ، دار اقرأ ، بيروت ، ط ١ / ١٩٨٥ ص ٢٦٤ وما بعدها .

(٩٨) قال الرسول (ص) : ((من جلس في مجلس فكثر فيه لقطعة ، فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك واتوب إليك . إلاغفر له ما كان في مجلسه ذلك)) اخرجه الترمذي من حديث ابي هريره وصححه ــ ينظر المغني عن حمل الاسفار هامش ص ١٧٢ من إحياء علوم الدين مج ٢ .

(٩٩) الغزالي ، احياء علوم الدين ، مج ٢ ، ص ١٩٠ .

(١٠٠) المصدر نفسه ، ص١٩١ .

(١٠١) ينظر المصدر نفسه ، ص ٢٠٤ ولمزيد من الإيضاح يُنظر ص ٢٠٥ وما بعدها .

(١٠٢) هذه بعض ابيات من القصيدة التائية التي تقع في ثلاثمائة وستة وستين بيتا" ، الحقت هذه القصيدة بمعية القصيدة الهائية كملحق لكتاب معارج القدس في مدارج معرفة النفس، تحقيق جميل ابراهيم حبيب ــ ينظر حول هذه الابيات المصدر نفسه، ص ٢٠٣ .

وللغزالي قصائد اخرى نظمها وبعضها نسب اليه ولا ننسى جهود الاستاذ الدكتور جلال شوقي عميد كلية الهندسة بجامعة قطر في نشر بعض القصائد التي عثر عليها كمخطوطات متناثرة في بلدان متعدده عالميا وعربيا" فذكر قصيدة الفاتحة التي تتكون من عشرة ابيات ، والقصيدة النونية والجوهرة الفريدة المضية ٢٥بيتا" ، وقصيدة المنفرجة لكشف الكروب ٥٨ بيتا" وقصيدة في النفس : هائية الغزالي ٦٤ بيتا" فضلا" عن التائية ــ لمزيد من التفصيل ينظر الدراسة التي قدمها أ.د. جلال شوقي ، الشعر في تراث الغزالي (مخطوطات تنشر لاول مره) ضمن كتاب الإمام الغزالي الذكرى المئوية التاسعة لوفاته ، تحريرا" أ.د. محمد كمال ابراهيم جعفر ، جامعة قطر ، مطابع العهد ، ١٩٨٦ ، من ص ١٤٦ الى ص١٩٣ .

ويرى الدكتور احمد الشرباصي ان القصيدة الهائية والتائية مشكوك بصحة نسبتهما للغزالي ، وقال ايضا" ولو سهل علينا القول بصحة نسبتهما له ، فمن الصعب علينا ان نسلم بان جميع ابياتهما له ينظر الغزالي والتصوف الاسلامي ، ص ١٢٣ ومابعدها

(١٠٣) الغزالي ، احياء علوم الدين ، مج ٢ ، ص ٤٠٦ ولمزيد من التفصيل ينظـــر ص ٤٠٧ ــ ٤٠٨ ــ ٤٠٩.

(١٠٤) المصدر نفسه ، ص ٤٠٩ .

(١٠٥) المصدر نفسه ، ص ١١٠ ــ ١١١

(١٠٦) المصدر نفسه ، ص ١١٢

(١٠٧) المصدر نفسه ، ص ١١٣ .

(١٠٨) المصدر نفسه ، ص ١١٤ .

(١٠٩) المصدر نفسه ، ص ١١٥ .

(١١٠) المصدر نفسه ، ص ١١٦ .

(١١١) المصدر نفسه ، ص ١١٧ .

(١١٢) ينظر د. محمود قاسم ، دراسات في الفلسفة الاسلامية ، ص ٢١٠ ــ ٢١١ .

(١١٣) الغزالي ، احياء علوم الدين ، مج ٢ ، ص ٢١٨ .

(١١٤) حول ما يجب على المعتزل من آداب ينظر المصدر نفسه ، ص ٢١٩ .

ورد عن حالة العزلة ، ان يجلس السالك وحده بحيث لايقطع ذكره لله تعـــالى مـــستمرا" بذكره مع التزام قول الله الله بحيث يحفظها في فكره ، حيث يصل مرحلة ينقطع عنـــدها الكلام بهذا القول لانه سيتحول الى ذكر قلبي فيجد قلبه واضب ذلك ويصبح هذا القول لا ينفصل عنه ، فتسعى النفس الى تنفس الرحمة الإلهية ، منتظره ما سيكشفه الله لهـــا مـــن اشراق نور المشيئة الحقيقي على القلب وهذه الانوار في البداية ســـتكون وقتيـــه تجـــيء وتذهب وانها بمرور الوقت ستطول . يراجع ما ذكره نيكلون عن الغزالي

Reynold – A – Nicholson , The Mystics of Islam – printed in Britain – First published London , 1914 – p 47, 48 .

(١١٥) د. حسام الدين الالوسي ، دراسات في الفكر الفلسفي الاســـلامي ، دار الـــشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٢ ، ص ٢٧٤ .

(١١٦) يراجع

T – J- DeBore , The History of Philosophy in Islam , Translated by Edward – R – jones – printed at : universal offset , publications – New Delhi , 1933 – p 157

ان دي بور وان عول على سبب خروج الغزالي انه كان هاتف باطني دعاه للخلوه الا انه اضاف سبب اخر وهو سعيه للظهور بمظهر المصلح السياسي ، ينظر p 157 علما" بان الغزالي لم يشر إلى ذلك ، بل اكد السبب الاول ــ يراجع الغزالي ، المنقذ من الضلال ، تحقيق جميل إبراهيم حبيب ، دار القادسية بغداد ، ص ٤٢ ــ ٤٣ .

(١١٧) د. عبد الأمير الاعسم ، الفيلسوف الغزالي إعادة تقويم لمنحنى تطوره الروحي ، دار الاندلس ، بيروت ، ط /٢/ ١٩٨٠ . وعلل الاعسم موقف الغزالي السلبي من الصليبين بأنه وصل إلى مرحلة خطيرة من الشعور بالعجز وهو صوفي حيث قطع كل صلاته مع العالم الخارجي الذي غلبت عليه النفعية التي تبعده عن الآخرة ، وانه لم يعد عضوا" مساهما" في بناء مجتمع يساعد على نمو العقيدة الإسلامية فهو اظهر ذوبانا" خاصا" في التصوف ، في ذات العباده لان جوهر التصوف كما رآه هو أن ينغمس المريد في العباده ولا شأن له بما يحدث حوله ــ المصدر نفسه ، ص ٤٦ .

(١١٨) حجة الإسلام أبي حامد الغزالي ، المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال ، تحقيق وتقديم الدكتوران ، جميل صلبيا وكامل عياد ، دار الأندلس للطباعه والنشر ، بيروت ، ط ٧ ، ١٩٦٧ ، ص ١٢١ ــ ١٢٢ ــ ومن خلال كلام الغزالي عن ترك عزلته هذه ندرك انه تركها بوصفه مصلح ديني .

(١١٩) د. ماجد فخري و د. خليل الجر ، تاريخ الفلسفة العربية ، ص ٥٥٣ .

(١٢٠) د. احمد الشرباصي ، الغزالي والتصوف الاسلامي ، ص ٨٦ .

(١٢١) د. جبور عبد النور ، إخوان الصفاء ، دار المعارف ، مصر ، ط ٣/ ١٩٧٠ ، ص ١٧ . ينظر حول هذا الموضوع رسائل اخوان الصفاء ، ج ٤ ص ١٨ ــ ١٩ .

(١٢٢) تضاربت الاراء حول غاية صداقة اخوان الصفاء فوصفهم د. مصطفى غالب بانهم جماعة عرفانية قدمت ما يتفاعل في الحياة الاسلامية في كافة مراحلها العقلانية والاخلاقية والاجتماعية وسعت الى تحقيق الاخاء الواعي المؤمن السالك في معارج التوحيد ، وسلالم المعرفة الحقانية ــ ينظر ــ د. مصطفى غالب اخوان الصفاء وخلان الوفا ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت ١٩٨٩ ، ص ٥ . وكانت غايتهم دينية وسياسية معا" هدفها اصلاح الدين مما حل به بسبب تدخل بعض خلفاء بني العباس ، ينظر ص ٢٦ ــ ٢٧

ويرى الدكتور فؤاد معصوم ان هدفهم كان تحديد مشاكل العصر وايجاد حلول لهـا مـن جانب وانهم كانوا يسعون الى تحديد كيان عقلي واجتماعي للمدينة الفاضلة التي حـاولوا اقامتها ــ ينظر د. فؤاد معصوم ، اخوان الصفاء فلسفتهم وغايتهم ، دار المـدى للثقافـة والنشر ، دمشق ، ط / ١/ ١٩٨٨ ص ٣٠٦ .

وذكر جبور عبد النور ان الاخوان كانت غايتهم الظاهرة اصلاح الدين مما حل فيه مـن فساد ولكنهم كانوا يسعون باطنا" الى بث افكار العلويين من خلال رسائلهم كـي يمهـدوا الطريق لثورة سياسية ينظر د. جبور عبد النور ، المصدر السابق ، ص ٧٧ــ ٨٣ .

(١٢٣) قال التوحيدي عن اخوان الصفاء : ((... وذلك انهم قالوا : ان الشريعة قد دنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة ، لانهـا حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وزعموا انه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال)) المقابسات ، تحقيق حسن السندوبي ، ص ٤٦.

(١٢٤) ينظر .

W- Montgomery Watt , Islam and the Integration of society in Britain , first published , London 1961 , p233 – 234 .

(١٢٥) ينظر

Fazlur , Rahman, Islamic philosophy , Articale in the Encycloped ia of philosophy , published in Macmillan London and the free prees , New yourk ,1967 , volumes 3 and 4 , p 222 .

(١٢٦) ينظر د. ناجي ، الفلسفة الاخلاقية الافلاطونية عند مفكري الاسلام ، ص ١٨٦ ــ ١٨٧ .

(١٢٧) تكلم ياقوت الحموي عن ايجابيات التوحيدي وسلبياته ، حيث ابتدأ بالثنـاء عليـه وختم كلامه بالقدح فيه او بالاحرى وضح ماله وما عليه . فوصفه بانه فيلسوف الادبـاء واديب الفلاسفة ، محقق الكلام ، والمتكلم المحققين ، وإمام البلغـاء وعمـدة لبنـي ساسان ومع ذلك انه كان سخيف اللسان ، قليل الرضى عند الاساءة اليه والاحسان ، كان الذم شأنه والثلب دكانه وكان يتشكى صرف زمانه ويبكي في تصانيفه على حرمانـه ــ الحموي ، معجم الادباء ، مج٥ ، ص ٣٨٠ ــ ٣٨١ .

(١٢٨) الاستاذ ت ــ جــ دي بور ــ تاريخ الفلسفة في الاسلام ، نقله الــى العربيــة ، محمد عبد الهادي ابو ريده ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٨ ، ص ٥٦ ــ ينظر حول احراق التوحيدي لمؤلفاته ايضا" الحموي ، المصدر السابق ، ص ٣٨٨.

(١٢٩) طلب الوزير ابن سعدان ابا عبد الله من التوحيدي ان يقدم رسالته فــي الــصداقة وبعد الطلب اخذ يبحث عن مسودتها حيث عثر عليها في شهر رجب ســنة ٤٠٠هــــ ، الحموي ، المصدر نفسه ، ص ٣٨١ . ومن هذا الكلام يتضح لنا ان التوحيدي لــو لــم يطلب منه الوزير ذلك لما جعل من رسالته في الصداقة تبصر النور . فاخراجــه لهــذه الرسالة اذن كان دافعه تلبية امر الوزير .

والتوحيدي كما ذكر الدكتور عبد الامير الاعسم . كان يتطلع الى ان يتــصل بــالوزراء والكبار في الدولة كي يضمن مصادر الرزق والنعمــة والطمأنينــة لــدى عليــة القــوم والارستقراطيين ــ ينظر الاعسم ، ابو حيان التوحيدي في المصادر العربية والمراجــع الاوربية ، بحث في مجلة دراسات فلسفية ، قسم الدراسات الفلسفية في بيــت الحكمــة ، العدد ٣ تموز السنة الثانية بغداد ، ٢٠٠٠ ، ص ٨٢ ، ٨٣ ،٨٤ .

المصادر والمراجع

اولا" العربية :

- **القران الكريم**

١- إخوان الصفاء ، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء ، تحقيــق وتقــديم ، بطــرس البستاني ، دار صادر بيروت ، ١٩٥٧.

٢- افلاطون ، الجمهورية ، نقلها الى العربية حنا خباز ، مطبعة الانتصار بغداد ، بــلا تاريخ .

٣- التكريتي ، د . ناجي ، الفلسفة الاخلاقية الافلاطونية عند مفكــري الاســلام ، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ط١، ١٩٧٩ .

٤- التوحيدي ، ابو حيان ، الصداقة والصديق ، تحقيق د. ابراهيم الكيلاني ، دار الفكر دمشق ، ١٩٦٤.

٥- التوحيدي ، ابو حيان ، الامتاع والمؤانسة ، تحقيق احمد امين ، واحمد الشريف ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ج١ طبع سنة ١٩٤٢

٦- التوحيدي ، ابو حيان ، المقابسات ، تحقيق حسن السندوبي ، المطبعة الرحمانية مصر ن ط١ ، ١٩٢٩.

٧- ابن الجوزي ، الشيخ الامام ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ، ت ٩٥٧هـ ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم الدار الوطنية ، بغداد ، ١٩٩٠.

٨- ابن ابي الحديد ، عز الدين عبد الحميد بن هبه الله ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، بيروت ط٢ ، ١٩٦٧.

٩- الحسيني ، السيد جعفر باقر ،معجم مصطلحات المنطق ، مطبعة البقيع ، دار الاعتصام للطباعة والنشر ، ط١ بلا تاريخ .

١٠-الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي ، معجم البلدان ، ط٢ ، ١٩٩٥ .

١١-الحموي ، ياقوت ، معجم الادباء ، نسخ وتصحيح د . س مرجيلوث ، مطبعة هندية بالمونسكي ، مصر ، ط٢ ، ١٩٨٢.

١٢-ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (٦٠٨هـ ـ ٦٨١هـ) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق د . احسان عباس ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، دار صادر ، بيروت ، ج١ طبع سنة ١٩٦٨ ، ج٤ طبع سنة ١٩٧١ .

١٣-خليل ، د. ياسين ، المقدمة في علم المنطق ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٧٩ .

١٤-دي بور ، الاستاذ ت ـ ج ، تاريخ الفلسفة في الاسلام ، نقلة الى العربية ، محمد عبد الهادي ابو ريدة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٨ .

١٥-الزبيدي ، محب الدين ابو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي ، تاج العروس ، المسمى من شرح القاموس ، المسمى من جواهر القاموس ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، بلا تاريخ .

١٦-السبكي ، الامام تاج الدين تقي الدين ابو نصر عبد الوهاب بن علي الكافي ، طبقات الشافعية الكبرى ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط٢ ، بلا تاريخ .

١٧-الشرباصي ، د . احمد ، الغزالي والتصوف الاسلامي ، دار الهلال للطباعة ، مصر ، بلا تاريخ .

١٨-شمس الدين ، د . عبد الامير ، الفكر التربوي عند الامام الغزالي ، دار اقراء ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥

١٩-الشهرستامي ، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر احمد ، الملل والنحل ، اشرف على تعديل هذا الكتاب وقدم له صدقي جميل العطار ، دار الفكر للطباعة والتوزيع ، ط٢ ، ٢٠٠٠.

٢٠-شوقي ، أ . د. جلال ، الشعر في تراث الغزالي (مخطوطات تنشر لاول مرة) قدمت كمشاركة مع مجموعة دراسات لنخبة من التدريسيين في جامعة قطر ، جمعت بكتاب ، الامام الغزالي الذكرى المئوية التاسعة لوفاته ، تحرير أ . د. محمد كمال ابراهيم جعفر ، مطبعة العهد ، جامعة قطر .

٢١-ابن ابي طالب ، الامام علي ، ديوان الامام علي ، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٣ ٢٠٠٠ .

٢٢-طاليس ، ارسطو ، الاخلاق ، ترجمة اسحق بن حنين ، تحقيق وشرح وتقديم د . عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط١ ، ١٩٧٩ .

٢٣-عبد الحميد ، د. عرفان ، المدخل الى معاني الفلسفة ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٩ .

٢٤-عبد النور ، د. جبور ، اخوان الصفاء ، دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، ١٩٧٠ .

٢٥- العسكري ، د. كفاح يحيى صالح ، الفكر التربوي والنفسي عند الغزالي ، دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٠ .

٢٦-الاعسم ، د. عبد الامير ، ابو حيان التوحيدي في المصادر العربية والمراجع الاوربية ، بحث في مجلة دراسات فلسفية ، قسم الدراسات الفلسفية في بيت الحمكة ، العدد ٣ تموز ، السنة الثانية ، بغداد ، ٢٠٠٠ .

٢٧- الاعسم ، د. عبد الامير ، التوحيدي في كتاب المقابسات ، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط٣ ، ١٩٨٦ .

٢٨-الاعسم ، د. عبد الامير ، الفيلسوف الغزالي إعادة تقويم لمنحنى تطوره الروحي ، دار الاندلس ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١ .

٢٩- العيد روس ، شيخ عبد القادر ، كتاب الاحياء بفضائل الاحياء ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط٣ ، ٢٠٠٢ طبع كملحق في مجلد خامس لكتاب إحياء ، علوم الدين للإمام الغزالي .

٣٠-غالب ، د. مصطفى ، إخوان الصفاء وخلان الوفا ، منشورات دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٩.

٣١-الغزالي ، الإمام ابو حامد محمد بن محمد المتوفى (٥٠٥هـ) ، إحياء علوم الدين ، وبذيله كتاب المغنى عن حمل الاسفار في تخريج مافي الإحياء من الأخبار للإمام زين الدين ابي الفضل عبد الرحيم بن الحسن العراقي المتوفى سنة (٨٠٦هـ) ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٠ .

٣٢-الغزالي ، ابو حامد ، رسالة الادب في الدين ، مجموع رسائل القاهرة ، مطبعة كردستان العلمية ، ١٣٢٨نشرة دار الشروق .

٣٣- الغزالي ، رسالة ايها الولد ، تعهد طبعها واشرف عليها الحاج فؤاد الدين قوام السامرائي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ط٣،١٩٦٩ .

٣٤-الغزالي الدرة الفاخرة في معرفة علوم الاخرة ، تحقيق جميل ابراهيم حبيب ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ط١،١٩٨٦ .

٣٥- الغزالي ، فضائل الامام من رسائل حجة الاسلام ، ترجمها عن الفارسية وشرحها وعلق عليها ، د. نور الدين ال علي استاذ اللغة والآداب الفارسية بجامعة الجزائر ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٢ .

٣٦-الغزالي ، المستصفى في على الاصول ، طبعه وصححه ، محمد عبد السلام الشافي ، بيروت ، بلا تاريخ .

٣٧-الغزالي ، المنخول من تعليقات الاصول ، حققه وخرج نصه وعلق عليه ، د. محمد حسن هيتو ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط٣، ١٩٨٨ .

٣٨-الغزالي ، المنقذ من الضلال ، تحقيق جميل ابراهيم حبيب ، دار القادسية ، بغداد ، بلا تاريخ .

٣٩-الغزالي ، المنقذ من الضلال والموصل الى ذي العزة والجلال تحقيق وتقديم الدكتوران جميل صليبا ــ وكامل عياد ، دار الاندلس للطباعة والنشر ــ بيروت ، ط٧، ١٩٦٧ .

٤٠-الغزالي ، معارج القدس في مدارج معرفة النفس ، وتليها القصيدة الهائية والقصيدة التائية للمؤلف ، تحقيق جميل ابراهيم حبيب ، منشورات وتوزيع المكتبة العالمية ، بغداد ، ١٩٨٨ .

٤١-الفاخوري حنا ــ و ــ د. خليل الجر ، تاريخ الفلسفة العربية ، مؤسسة بدران وشركاه ، بيروت ، طبعه جديدة منقحة مع نصوص فلسفية مختاره ، بلا تاريخ .

٤٢-ابو الفضل العراقي ، الإمام زين الدين عبد الرحيم بن الحسن المتوفى سنة (٨٠٦هـ) ، المغنى عن حمل الاسفار في تخريج ما في الاحياء من الاخبار ، طبع بذيل كتاب إحياء علوم الدين ، للغزالي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣، ٢٠٠٢ .

٤٣-قاسم ، د. محمود ، دراسات في الفلسفة الاسلامية ، دار المعارف ، مصر ، ط٢،١٩٦٧ .

٤٤-القفطي ، جمال الدين علي بن يوسف ، تاريخ الحكماء ، مؤسسة الخانجي ، مصر ، مكتبة المثنى بغداد ، بلا تاريخ .

٤٥-قمير ، يوحنا ، اخوان الصفاء ، منشورات دار المشرق ، بيروت ، ١٩٨٦ .

٤٦- كرم ، يوسف ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، دار القلم ، بيروت ، ط٢ ، بلا تاريخ .

٤٧-كرم ، يوسف ، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، بغداد ، بلا تاريخ .

٤٨-الالوسي ، د. حسام محيي الدين ، دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٢ .

٤٩-معصوم ، د. فؤاد ، إخوان الصفاء فلسفتهم وغايتهم ، دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق ، ط١، ١٩٨٨ .

٥٠-الهندي ، بيديا الفيلسوف ، كليلة ودمنة ، ترجمها الى العربية عبد الله بن المقفع ، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد ، بلا تاريخ .

٥١-هيكل ، محمد حسين ، جان جاك روسو ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٥ ، ١٩٦٣ .

ثانيا" / الاجنبية :

1- J- A – K , Thomson , The Ethics of Aristotle , The nicomachen Ethics , printed in Britain , published in penguin classics , 1955.

2- FAZlur , Rahman , IsLamic philosophy , Article in the Encyclopedia of philosophy , published in macmillan , London and Free prees , new Yourk , 1967 , volumes 3 and 4

3- Reynold – A – Nicholson , The mystics of IsLam – printed in Britain , First published , London , 1914 .

4- T- J – Debore , the History of philosophy in Islam , Translated by, Edward –R – Jones , printed at : universal offset , publications – newDelhi 1933 .

5- W – Mont gomery – watt , IsLam and the integration of society , printed in Britain , First published , London , 1961 .

6- **Great book of the western world , The Dialogues of plato , Lysis or Friend ship , Translated by , Benjamin Jowett , william Benton publisher , Encyclopedia , Britannica , 1952 , volume 7 .**

7- **Great book of the western world , The Works of Aristotle , william Benton , publisher , Encyclopedia Britannica , 1952 , volume 9 .**